محمّد قجّة

دمشــق فـي عيون الشعراء

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق

هذا الكتاب

د. رياض نعسان آغا

وزير الثقافة

في دمشق الخالدة خلود التاريخ، والتي شهدت فجر التاريخ، ومنها انطلقت قوافل الحضارة لتعمّ قارّات العالم القديم الثلاث، وتنشر معها التسامح والاعتراف بالآخر ومحبة الإنسان .

دمشق العربية، عروبة التاريخ والثقافة والطموح والمواقف . عروبة التفاعل مع الشعوب، والتكامل مع الحضارات .

كانت دوماً الوجه الجميل بخضرة غوطتها، وقلوب أبنائها البررة، وهم يصنعون مواكب الزمن المتدفّق عطاءً وحيويةً وحكمة .

وإذا كانت دمشق عاصمة للثقافة العربية لعام 2008، فإنّها كانت عبر تاريخها المركز الحضاريَّ المشعّ لتلك الثقافة، والمركز الحضاريَّ المتناغم مع المدن الأخرى التي أنجبتها الحضارة الإسلامية؛ مثل بغداد وقرطبة وفاس وتلمسان وأصفهان وحلب والري وبخارى وسمرقند .

هذا الوهج الحضاري الذي لم يلغِ الآخر، وإنّما كان له بعده الإنساني، والذي ترك بصماته في شتّى نواحي العلم والمعرفة البشرية، فأغنى التراث الإنساني بملايين الكتب في العلوم الإنسانية والتطبيقية أدباً وشعراً وفلسفة وطبّاً وزراعة وفلكاً . . . إلى جانب علوم الدين المتنوّعة .

وهذا الكتاب الذي يقدّم «دمشق» من خلال عيون الشعراء عبر عصور مختلفة من التاريخ العربي، يعتبر إضافةً أدبية ومعرفية لعرض وجه دمشق المشرق من خلال قصائد أبرز الشعراء العرب، على سبيل المثال وليس الحصر . وما قيل في دمشق أكبر وأكثر من أن يحيط به كتاب أو سِ فر، فهي المدينة التي وُلدت في أحضان التاريخ، وواكبت مسيرته، وصنعت أمجاده، وتربّعت على قمّة المدن عاصمةً للدولة العربية الأموية، من جبال البيرنيه غرباً، حتى الهمالايا شرقاً .

وتبقى دمشق ذاكرة الثقافة العربية، ودفقها الذي لا يعرف التوقّف .

دمشق والثقافة العربية

وعيون الشعراء

علِّمينا فِقْهَ العروبةِ يا شا مُ فأنتِ البيانُ والتبيينُ

دمشق فقه العروبة, دمشق البيان والتبيين. هذا الكلام لم يقله نزار قباني عبثاً, وهو الذي يؤكد دائماً:

ودمشقُ تُعطي للعروبةِ شكلَها وبأرضها تتشكَّلُ الأحقابُ

والدهرُ يبدأ من دمشقَ، وعندَها تبقى اللُّغاتُ ، وتُحفَظُ الأنسابُ

هل كان نزار قبّاني محِقّاً أم مبالغاً ... دمشق تشكّل وجه العروبة , ودمشق تحفظ اللغات والأنساب والأحقاب... وعلى أرضها تكوّنت عظمة العروبة, وبقيت العظمة على مرّ السنين.

لن نتوقَّف عند تاريخ دمشق الموغل في القدم, ولا عند دورها عاصمةً لمملكة آرامية , ولا عند دورها خلال الحقبة الكلاسيكية من الاحتلال الروماني وقبله الإغريقي.

إنّما سوف نتوقف عند بعض المحطّات التي أعطت دمشق وجهها العربيّ الحضاري , وأعطت دمشق من خلال تلك المحطات عبقاً إنسانياً توزع على قارات العالم.

أولاً: هناك وهمٌ تاريخي شائع, يزعم مروّجوه أنَّ بلاد الشام كانت بيزنطيّةً وأنَّ العراق كان فارسياً ساسانياً، ومن ثَمَّ فإنَّ أصحاب هذا الزعم يقولون: إنَّ العرب أقبلوا من شبه جزيرتهم محتلين للشام والعراق.

والتاريخ الموضوعي يؤكّد أنَّ البيزنطيِّين كانوا طبقةً حاكمةً محتلةً في بلاد الشام , شأنَ الساسانيّين في العراق . كما تؤكِّد الدراسات التاريخية الموثقة أنَّ سكان تلك البلاد الأصليين كانوا يتألفون من القبائل العربية , ومن السريان الآراميين، ومن بقايا الحضارات الأسبق كالآشوريين.

والقبائل العربية كانت تمتد حتى منابع دجلة والفرات , وعرفت هذه البلاد ممالك عربية صرفة، من مثل : جندب, الحضر , الأنباط, التدمريون, المناذرة, الغساسنة, وبعضها يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد.

كما يحفظ لنا التاريخ أسماء القبائل العربية التي كانت تسكن الشام والعراق، مثل : بكر وتغلب ومضر وربيعة وتنوخ ولخم وجذام ونمير وكلب وكلاب وسواها.

وكان شعراء الجاهلية يتردّدون على الشام والعراق، يمدحون ملوك المناذرة والغساسنة , وفي طليعة هؤلاء النابغة الذبياني وحسان بن ثابت، صاحب القول المشهور في الغساسنة:

للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهُمْ يوماً بـجِلَّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ

يَسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهُمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ
بِيضُ الوُجوهِ، كريمةٌ أحسابهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ

وعمرو بن كلثوم , وعدي بن زيد . كما ترد أسماء المدن والقرى العربية في الشام والعراق في شعر هؤلاء الشعراء, مما يُعدُّ دليلاً على الوجود العربي ديموغرافياً وثقافياً قبل الفتح الإسلامي بقرون عديدة.

وقد شهدت دمشق في تلك القرون حدثاً فائق الأهمية هو انتشار المسيحية , وكان لدمشق دور محوريّ في هذا الميدان , وهي التي استقبلت بولس ا لرسول , وهي التي ساهمت في انتشار المسيحية بين سكّان بلاد الشام من عرب وآراميين أصبحوا يدعون بالسريان بعد اعتناقهم المسيحية.

ثانياً: كان فتح العرب المسلمين لبلاد الشام تحريراً لها من السيطرة الأجنبية الأوربية المتمثلة بالبيزنطيين وقبلهم الرومان والإغريق. وكانت معركة اليرموك بمثابة الرد الحاسم الذي أعاد للشرق كرامته بعد احتلالٍ أوربي طويل , وهذه المعركة رسمت تاريخ البلاد بصورة نهائية، وأعادت الاعتبار لسائر أطراف التركيبة السكانية التي تشكل البلاد.

ولم تكن دمشق غريبةً عن العرب المسلمين الفاتحين , ولم يكونوا غرباء عنها , وهي المدينة التي يشكل العرب جزءاً هاماً من نسيجها الديموغرافي قبل الإسلام.

وقد كانت محطة أساسية في (رحلة الشتاء والصيف)، وكان أبناء قريش يعرفونها تمام المعرفة.

وخلال نصف قرن (وهي فترة قصيرة جداً في عمر التاريخ والشعوب) تغدو دمشق عاصمةً لأكبر دولة عربية عرفها التاريخ , ويقول عنها الجاحظ : دمشق عاصمة الدولة العربية الأعرابية , فقد كانت دمشق حاضرةً مزدهرةً تضرب جذورها عميقاً في تاريخ الحضارة الإنسانية, وكانت في الوقت نفسه على طرف البادية التي تعجّ بالقبائل العربية, وهي القبائل التي كرّست سريعاً قيام تلك ال دولة المترامية الأطراف , والتي بلغت مع نهاية القرن الهجري الأول حدود جبال البيرنيه غرباً والصين شرقاً, ممتدّة على ثلاث قارات بمساحة تقارب /20 مليون كم2/ كانت تدار مركزياً من دمشق، عاصمة تلك الدولة الكبرى التي أخذت شكل الإمبراطورية العظمى , والتي ألغت وقزّمت أكبر إمبراطوريتين قبلها: الرومان والفرس الساسانيين.

ولعلَّ شوقي قد عبّر عن هذا الامتداد حينما قال:

لولا دمشقُ لما كانتْ طليطلةٌ ولا زَهَتْ ببني العبّاس بَغْدانُ

في تلك الفترة ... أي في أواخر القرن الهجري الأول كانت دمشق قد ازدادت عظمتها ببناء الجامع الأمويّ أيام الوليد بن عبد الملك , وفي أيام الوليد كانت الدولة العربية في أوج استقرارها السياسي وامتدادها الجغرافي , وتطورها العمراني . وما يعنينا في هذا المجال أولاً هو الجانب الثقافي المتصل بالتعريب واللغة العربية وعلومها المختلفة.

ويمكننا الوقوف على أبرز الإنجازات في الأمثلة التالية:

1- تعريب الإدارات والدواوين , وما يتصل بذلك من إعداد الموظفين المدربين الذين قاموا بنقل المراسلات

والمعاملات المختلفة إلى اللغة العربية, وما لذلك من أثر حاسم في مجالات الإدارة المختلفة.

2- تعريب النقود، وذلك بسكِّ عملات جديدة بكتابات عربية وشهادات إسلامية , وأثر ذلك في الجوانب المعنوية والاقتصادية, وتكريس التميُّز والاستقلال, وتعزيز هيبة الدولة.

3- ويتصل بتعريب النقود تنظيم الضرائب ومعاملات بيت المال، والأنشطة الاقتصادية الأخرى؛ من زراعة وخَراج وتجارة وفق تعليمات الشريعة الإسلامية, وباللغة العربية.

4- وقبل كل ذلك حملت الفتوحات معها روح الحضارة الإسلامية , واللسان العربي المبين الذي هو لغة القرآن الكريم, فأصبحت هذه الشعوب تتسابق إلى تعلُّم اللغة العربية ودراستها والإبداع فيها.

ولعلَّ عبارات نزار قباني المختصرة تلخِّص هذه الرسالة الحضارية حول قوافل الفتح التي قال فيها:

عن السرايا الزاهيهْ
تحمل من دمشق في ركابها
حضارة وعافيهْ

وهكذا أصبحنا فيما بعد , نجد أسماء العلماء الكبار في شتى مجالات المعرفة تحمل أسماء مدن مثل : البخاري , الترمذي , الأصفهاني , التلمساني , الشيرازي , التبريزي , الكابلي , القيرواني , القرطبي , الشاطبي , الهروي , البلخي, الكرماني, الرازي, إلى جانب المدن العربية الصميمة , وذلك في إنتاج ملايين الكتب التي بقي منها بعد كلِّ الكوارث والنكبات قرابة ستة ملاين مخطوط باللغة العربية، موزعة في أنحاء العالم.

ثالثاً: وإذا كان وهج الثقافة العربية في دمشق قد بلغ ذروته أيام الوليد في القرن الأول للهجرة , فإنَّ هذا الوهج انتقل إلى أقصى الغرب مع الفتى المغامر العجائبي (صقر قريش)، الذي زرع في الأندلس نخلة العروبة ثقافة وفكراً وعمراناً وحضارة , وبلغ هذا الوهج ذروته خلال القرن الرابع الهجري أيام عبد الرحمن الناصر وابنه لحكم المستنصر بالله , ولم يكن هذا الوهج إلا امتداداً لوهج دمشق المتدفق ألقاً من المشرق، عبر الرسالة الحضارية الرفيعة، وكان الأندلس جسر العبور الذي صنع فيما بعد ما يُسمى عصر التنوير في أوربا، بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي.

وإذا كانت دمشق تُوهى بجامعها الأموي الفريد , فإنَّ قرطبة تفخر بجامعها الذي يحمل بصمات عدد من الأمراء والخلفاء, ولا يزال حتى اليوم قبلة العمارة الباذخة والفن الرفيع.

وفي تلك المرحلة , وفي منتصف القرن الثالث للهجرة , حاول الخليفة العباسي (المتوكل على الله) أن يستعيد شيئاً من الحضور العربي لخلافته في بغداد وسامراء , فما كان منه إلاّ أن قرّر العودة بالخلافة إلى دمشق, وجاء معه شاعره الفذ (الوليد البحتري) ابن بلاد الشام في منبج, وفي دمشق أنشد قصيدته الخالدة:

العيشُ في ليل (داريّا) إذا بَرَدا والراحُ نمزجها بالماء مِنْ بَرَدَى
أما دمشقُ فقد أبدتْ محاسِنَها وقد وَفَى لَكَ مُطْريها بما وَعَدا

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ مستحسنٍ وزمانٍ يشبه البلدا

ولكن تجربة المتوكل لم يكتب لها النجاح.

ولعلَّ الامتداد الأندلسيَّ لدمشق العروبة, والذي استمر ثمانية قرون, كان الأكثر تأثيراً في تطوير الحضارة الإنسانية ومعارفها المتنوعة , هذا الامتداد الذي برز في ظلاله أعلام خالدون مثل : ابن مسّرة , ومسلمة المجريطي , وابن رشد , وابن حزم , وأبناء زُهر , وابن زيدون , والزهرواي , والشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي , وابن البيطار , وابن العوّام الاشبيلي , ومئات سواهم , كان لكلٍّ منهم أثره الحاسم في مسيرة الفكر البشري, وبخاصة ابن رشد في ميدان الفلسفة والتأويل والتعددية, والزهرواي في الطب , وابن عربي في التصوف . هذه الحضارة المتسامحة المرنة المعترفة بالآخر والقائمة على أساس متين، من قول الله تعالى : ﴿لا إكراهَ فـي الدِّين﴾.

رابعاً: وتعود دمشق إلى واجهة الأحداث في فترة حروب الفرنجة التي تسميها المراجع الأوربية (الحروب الصليبية). ويكفي دمشق العريقة فخراً أن ترابها يضمُّ أضرحة الأبطال الثلاثة لتلك الحروب وهم:

- نور الدين زنكي
- صلاح الدين الأيوبي
- الظاهر بيبرس

هؤلاء الأبطال الثلاثة مثّلوا ذروة التصدي للعدوان الفرنجي، واستطاعوا بحكمتهم توحيد الصفوف , وتعبئة القوى, وتحطيم جبروت العدوان.

ولكلٍّ من هؤلاء العظماء الثلاثة أيادٍ بيضاء في دمشق من الجوانب العمرانية والاقتصادية والعلمية والتعليمية , وتقترن باسم كلٍّ منهم مبانٍ مختلفة؛ كالمدارس والحمامات والمكتبات والخانقاهات والبيمارستانات , وذلك رغم الانشغال بالجهد العسكري الكبير الذي لم يَثْنِهِمْ عن المشروعات العمرانية والتعليمية , ولا تزال آثارهم حيّةً شاهدةً على عظمة تلك المرحلة.

ومن المهمّ جداً هنا أن نشير إلى دور تلك المؤسس ات التعليمية في حفظ اللغة العربية واستمرارها وغناها في ميدان المؤلفات المتنوعة , وفي ذلك ردٌّ حاسمٌ على مَنْ يحاول النبش في الأصول العريقة لهؤلاء الرجال الأبطال، لإظهار أنهم لم يكونوا من العرب, وكأنَّ الأمور تقاس بلون الدم, أو شكل الوجه.

إنَّ الثقافة هي الم عيار الأول والأخير في الانتماء , وقد كانت الثقافة العربية هي المظلة الواسعة التي يحتمي بها كل مواطن من أبناء البلاد في إطار الحضارة الإسلامية السمحة التي تنطلق من قول راسخ مبين : ﴿ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

وهكذا شكّلت تلك المراحل سياجاً دفاعياً عن البلاد بالمعنى الاستراتيجي والعسكري , كما شكلت سياجاً ثقافياً معرفياً قدمت البلاد من خلاله مئات الأعلام في مجالات العلم والتأليف الموسوعي.

إنَّ نزيف الحروب العدوانية التي دامت قرنين من الزمن: الثاني عشر والثالث عشر للميلاد , لم يتمكن من هزيمة الروح الحضارية للأمة , على الرغم من الإنهاك واستنزاف الموارد , وبقيت الروح العربية في ألقها ووهجها وعطائها. ويكفي ذكر أمثلة لبعض أسماء المباني والمدارس والمكتبات التي تعود إلى العصور الزنكية والأيوبية والمملوكية, نعرف مدى ما خلفته تلك الحقب رغم فداحة الحروب:

- البيمارستان النوري
- دار الحديث النورية
- المدرسة العدلية
- المدرسة الأتابكية
- المدرسة الناصرية
- المدرسة الظاهرية ومكتبتها
- المدرسة الجقمقية
- المدرسة الجوهرية

إلى جانب عشرات المباني المتميزة من جوامع ومدافن وحمامات وسواها.

خامساً: في العهد العثماني الذي امتد أربعة قرون , برزت دمشق كمحطة رئيسية هامة على طريق الحج، وأخذت اسمها (شام شريف). وكانت قوافل الحج على قدر كبير من الأهمية دينياً واجتماعياً واقتصادياً أمنياً , وكان والي دمشق مسؤولاً عن تنظيم أمور هذه القوافل وحمايتها من قطاع ا لطرق , وتأمين تموينها وسلامتها وصولاً إلى الحج وعودة منه.

وقد كانت قافلة الحج ضخمة جداً لأنها تمثل الامتداد الجغرافي لتلك الإمبراطورية المترامية الأطراف من الدانوب حتى المحيط الهندي, والشمال الإفريقي وشبه الجزيرة العربية, امتداداً على ثلاث قارات.

كما أفادت دمشق من الاستقرار السياسي في تطوير تجارتها على طرق القوافل التجارية العالمية , حتى فتح قناة السويس الذي جعل الطريق التجاري العالمي بحرياً , فأفقد بلاد الشام الكثير جداً من دورها الاقتصادي العالمي.

وتحتفظ دمشق ببعض المعالم العمرانية الجميلة من تلك الفترة , ومن أبرزها التكية السليمانية وعدد من الجوامع , وقصر العظم , وخان أسعد باشا , وسوق الحميدية وسوق مدحت باشا , وفي الفترة المتأخرة الخط الحديدي الحجازي.

ووصل إلى دمشق في بدايات العصر العثماني المؤرخ المغربي (المقّري) صاحب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، وهو يتحدث عنها في مقدمة كتابه بإعجاب شديد فيقول : «دمشق الشام , ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام, والغوطة الغناء, وهي المدينة المستولية على الطباع, المعمورة البقاع».

نزلنا بها ننوي المُقامَ ثلاثةً فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنَّق في الخطاب , فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر , والغوطة

تسحر الألباب:

قال لي : صِفْ دمشقَ . مولًى جمّل الله خَلقَهُ واحتِشامَهْ
قلتُ : كَلَّ اللسانُ في وصف هو في وجنة البسيطةِ شامَهْ

ويرى المقّري في دمشق صورة بلده تلمسان في أقاصي المغرب فيقول:

«وعند عودتي لتلك الأقطار الجليلة الأوصاف العظيمة الأخطار , تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار, إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار:

لَمَّا وردتُ الصّالحيّ ـةَ حيثُ مُجْتَمَعُ الرفاقِ
وشمِمْتُ من أرض الشآ مِ نسيم أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لِي ولِمَنْ أُحِـ ـبُّ بجمع شملٍ واتّفاقِ

ولم يكن المقّري أول معجب بدمشق وغوطتها , فكلَّ الرحالة والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين والأجانب الذين زاروا دمشق فتنوا بها , وكتاباتهم معروفة ومدونة ومنشورة . ومن أجمل تلك الكتابات ما قاله الخوارزمي أبو بكر نزيل بلاط سيف الدولة:

«جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق , وصغد سمرقند , وشِعب بوّان , وجزيرة الأُبلّة , وقد رأيتها كلها، وأفضلها دمشق».

ومن بلاط سيف الدولة أيضاً يزورها الشاعر الصنوبري فيقول:

صفَتْ دُنيا دِمشقَ لساكنيها فلستَ ترى بغير دِمشْقَ دُن يا
تفيض جداولُ البِلَّورِ فيها خلال حدائقٍ ينبتْنَ وشيا
فمِنْ تُفَّاحة لم تَعْدُ خدّاً ومن رُمَّانة لم تَعْدُ ثديا

ونجد كتاباتٍ مماثلةً لدى ابن جبير وابن بطوطة والمسعودي والإدريسي والجيلاني وبدر الدين الحلبي والصفدي وابن الصائغ الحنفي والبدري والشيخ المارديني وعبد الغني النابلسي, وكثيرين سواهم.

سادساً: شهدت دمشق تقلّبات القرن العشرين: اضمحلال الدولة العثمانية , الاستعمار الفرنسي , الاستقلال, نكبة فلسطين وأثرها في الحياة العربية وتفاعلاتها . واستعادت دمشق مكانتها عاصمة سياسية للجمهورية العربية السورية.

قدمت دمشق أمثلةً صارخةً في الوطنية وحفظ الذات القومية , كان من أبرزها استشهاد البطل يوسف العظمة، الذي أعلن أنّ المستعمر لن يدخل البلاد إلا على جثث الشهداء , كما تألّقت دمشق في الثورة الوطنية /1925م/ وقال فيها شوقي:

سلامٌ من صَبا بَرَدَى أرقُّ ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ
جزاكُمْ ذو الجلالِ بني دِمشقٍ وعِزُّ الشرقِ أوَّلُهُ دِمَشْقُ

كما قدّمت مثالاً رائعاً في بطولة رجال الأمن الذين يحرسون مبنى المجلس النيابي , والذين ضحوا بدمائهم أمام وحشية المستعمر الفرنسي عام 1945.

وأرسلت سورية جيشها ليدافع عن أ رض فلسطين , وتعرّضت للضغوط , وساهمت في صنع الوحدة مع مصر , ثم عرفت الاستقرار السياسي منذ ثورة آذار 1963، وبعدها الحركة التصحيحية 1970.

خلال هذا القرن الأخير من عمر دمشق المديد , جرت أحداث بالغة الأهمية على المستوى الثقافي والتعليمي، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- عرفت مشق وسورية وسائر بلاد الشام نهضة صحفية باللغة العربية , وشهدت ولادة عشرات الصحف والمجلات التي عززت قوة اللغة العربية والثقافة العربية.

2- كانت جامعة دمشق أوَّلَ جامعة في الوطن العربي تدّرس العلوم النظرية والتطبيقية باللغة العربية، بما في ذلك الطب والهندسة . وقد نجحت في ذلك أيّما نجاح , ولا زالت مستمرة في نجاحها , ومعها الجامعات الأخرى في سورية . وقد أفرز التعليم العالي مئات الكتب والدراسات باللغة العربية، وطوّر المصطلحات العلمية والفلسفية والمعرفية لتواكب اللغات العالمية الحية , وكان لمجمع اللغة العربية الذي تأسّس عام 1919م أثره الكبير في هذا المجال.

3- حافظ الإعلام في سورية على قدرٍ كبيرٍ من التمسك بالفصحى والابتعاد عن اللهجات الدارجة , ونجح في ذلك نجاحاً باهراً , لأنَّ الإعلام لا يخاطب مدينة معيّنة ولا حارة ضيقة , بل يخاطب كلَّ أقطار الوطن العربي.

4- نشطت منذ بدايات القرن العشرين الحركة الأدبية بالفصحى؛ من رواية وقصة ومسرح , وبرز الشعر بصورة كاسحة قبل أن يفسح المجال للرواية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وبرزت أسماء شعراء كبار على مستوى الوطن العربي؛ كالزركلي والبزم وأنور العطار وشفيق جبري وعمر أبو ريشة وغيره م... ثم الساحر الدمشقي نزار قباني الذي لم تعرف مدينةٌ شاعراً عاشقاً كما عرفت دمشق عشق نزار لكلِّ تفاصيلها:

فرشتُ فوقَ ثراكِ الطاهرِ الهُدُبا فيا دمشقُ . . . لماذا نبدأ العتبا؟
حبيبتي أنتِ . . . فاستلقي كأغنيةٍ على ذراعي، ولا تستوضحي السَّببا
أنتِ النساءُ جميعاً . . ما منِ امرأةٍ أحببتُ بعدك . . إلا خِلتُها كذبا

ومن جانب آخر شهدت سورية – وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين– حركة قصصية وروائية مذهلة، من أعلامها : عبد السلام العجيلي , حنا مينة , زكريا تامر , خيري الذهبي , شكيب الجابري , نبيل سليمان, فاضل السباعي, حسيب كيالي, وليد إخلاصي, محمد أبو معتوق , كوليت خوري , ضياء قصبجي , غادة السمان.. إلخ، والكاتب المسرحي العالمي سعد الله ونوس، ورفاقه من رجال الحركة المسرحية.

ونشطت السينما السورية والدراما التلفزيونية التي أخذت مكانها المنافس بقوة في الفضائيات العربية.

5- يشكل القرار السياسي الناضج السياج الحامي والحارس لكلِّ تلك الانجازات الثقافية والحضارية , ويتمثل هذا القرار في التمسك بالتعريب تعليماً وإعلاماً وإدارة وبحثاً علمياً، وحرصاً على اللغة العربية الفصحى وتطوير أدائها ليواكب مسيرة العصر والمعلوماتية المتسارعة.

وقد صدرت في تاريخ سورية المعاصر عدة قرارات سياسية هامة في هذا المضمار، كان آخرها تشديد السيد الرئيس بشار الأسد في خطاب القسم أمام مجلس الشعب على ضرورة تمكين اللغة العربية في شتى مجالات الحياة التعليمية والعلمية والعملية والإعلامية.

لهذا كلِّه يأتي دور دمشق عاصمة للثقافة العربية لكي تكرِّس كلَّ هذا التاريخ المجيد بكافة أبعاده وأطيافه ومحاوره, وهي في سباق مع عواصم الثقافة العربية التي سبقتها والتي ستتلوها، وهي جديرةٌ بإحراز قصب السبق في هذا الميدان.

وتحيةً لهذا الدور الثقافي المتجذّر في عروبته، يأتي هذا الكتاب الذي يرى من دمشق في عيون [illegible] مدينة التاريخ الخالد، وقد قمنا بجمع بعض القصائد وترتيبها في سياق زمني بدءاً من حسّان بن ثابت، مروراً بفحول العصر العباسي؛ كالبحتري والصنوبري والمتنبي، وصولاً إلى شعراء العصر الحديث.

وتبقى دمشق قلب العروبة النابض، تاريخاً وحضارةً وفكراً وثقافةً وعطاءً لا يتوقف.

* * *

المختارات

حسّان بن ثابت(*)

أسألتَ رسم الدارِ أم لم تسألِ ... بين الجوابي فالبُضيعِ فحومَلِ

فالمرجِ مرجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسِمٍ ... فدِيارِ سلمى درَّساً لم تُحْلَلِ

دمنٌ تعاقَبَ ها الرياحُ دوارسٌ ... والمدجِناتُ من السِّماكِ الأعزلِ

دارٌ لقومٍ قد أراهُمْ مَرَّةً ... فوق الأعِزَّةِ عِزُّهم لم يُنقَلِ

للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهُمْ ... يوماً بِجِلَّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ

يمشون في الحلل المضاعَفِ ... مشيَ الجِمالِ إلى الجِ مالِ البُزَّلِ

الضاربونَ الكبشَ يبرقُ بيضُهُ ... ضرباً يطيحُ له بنانُ المِفْصِلِ

والخالطونَ فقيرهم بغنيِّهِمْ ... والمنعِمون على الضعيف المرمِلِ

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُ هُمْ ... لا يسألون عن السوادِ المقبِلِ

يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصِ عليهِمِ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

يسقون درياق الرحيق ولم تكنْ ... تُدعى ولائدهُمْ لنَقْفِ الحَنْظَلِ

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابُهُمْ ... شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ

فلبثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ... ثم ادَّكرتُ كأنَّني لَمْ أفْعَلِ

إمّأ ترى رأسي تغيَّرَ لونُهُ ... شمطاً فأصبح كالثَّغامِ المُحْوِلِ

ولقد يراني موعِدِيَّ كأنّني ... في قصر دومةَ أو سواءَ الهيكلِ

ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتِها ... صهباءَ صافيةً كطعمِ ا لفُلْفُلِ

يسعى عليَّ بكأسِها متنطِّفٌ ... فَيُعِلُّني منها ولو لَمْ أنْهَلِ

إنَّ التي ناولْتَني فرددْتُها ... قُتلتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العصيرِ، فعاطِني ... بزُجاجةٍ أرخاهُما للمِفْصَلِ

بزُجاجةٍ رقصتْ بما في قعرِها ... رقص القلوصِ براكبٍ مستعجِلِ

نسبي أصيلٌ في الكرامِ، ومِذْوَدي ... تكوي مواسِمُهُ جُنُوبَ المصْطَلي

ولقد تقلِّدنا العشيرةُ أمرَها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونعتلي

ويسودُ سيِّدُنا جَحاجِحَ سادةً ... ويصيب قائلُنا سواءَ المَفْصِلِ

(*) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضع وضبط وتصحيح : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص 307.

ونحاول الأمر المهمَّ خِطابُهُ فيهمْ ونفصِلُ كلَّ أمرٍ مُعْضِلِ
وتزورُ أبوابَ الملوكِ رَكابُنا ومتى نُحكَّمْ في البريَّةِ نَعْدِلِ
وفتى يُحِبُّ الحمدَ يجعلُ مالَهُ مِنْ دونِ والدِهِ وإنْ لَمْ يُسْأَلِ
باكرتُ لذَّتَهُ وما ماطلتُها بزُجاجةٍ من خير كرمٍ أهدَلِ

* * *

مخلفٌ في الذي وعد(*)

البحتري

مخلفٌ في الذي وعدْ سيلَ وصلاً فلم يَجُدْ
فَهْوَ بالحسنِ مُستبِـ ـدٌّ وبالدَّلِّ منفرِدْ
يتثنّى على قضيـ ـبٍ، ويَفْتَرُّ عن بَرَدْ
قد تطلَّبتُ لي مخرجاً من هواهُ فلم أجِدْ
بأبي أنت ! ليس لي عنك صبرٌ ولا جَلَدْ
ضاق صدري بما أُجِـ ـنُّ، وقلبي بما أجِدْ
وتغضَّبْتَ أن شَكَوْ تُ جوى الحبِّ والكَمَدْ
واشتِكائي هواك ذنْـ ـبٌ فإنْ تَعْفُ لا أَعُدْ
قد رحلنا عن العِرا قِ وعن قيظِها النَّكِدْ
حبَّذا العيشُ في دِمَشْـ ـقَ إذا ليلُه ا بَرَدْ
حيث يُسْتَقْبَلُ الزَّما نُ، ويُستحسَنُ البَلَدْ
سَفَرٌ جدَّدَتْ لنا الـ ـلَّهوَ أيَّامُهُ الجُدُدْ
عزمَ اللهُ للخليـ ـفةِ فيهِ على الرَّشَدْ
ملكٌ تعجز البريَّـ ـةُ عن حلِّ ما عَقَدْ
يا إمام الهدى الذي احْـ ـتاطَ للدينِ واجتهَـ ـدْ
سِرْ بسعدِ السُّعودِ في صحبةِ الواحدِ الصَّمَدْ
وابقَ في العزِّ والعُلُـ ـوِّ لنا آخرَ الأبَدْ

* * *

(*) ديوان البحتري - شرح حسن كامل الصيرفي - دار المعارف 1963 - مج2 - ص 707.

داريّا(*)

البحتري

وقال يمدحه عند قدومه دمشق:

العيشُ في ليلِ (داريّا) إذا بَرَدَا ... والراحُ نمزُجُها بالماءِ من (بَرَدى)

قل للإمام الذي عمَّتْ فواضلُهُ ... شرقاً وغرباً فما نُحصي لها عددا

اللهُ ولاّك عن علمٍ خلافتَهُ ... والله أعطاكَ ما لم يعطِهِ أحدا

وما بعثْتَ عِتاق الخيل في ... إلا تعرَّفَتْ فيه اليُمْنَ والرَّشَدا

أمّا (دمشقُ) فقد أبدتْ محاسِنها ... وقد وفى لك مُطريها بما وَعدا

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ ... مستحسَنٍ، وزمان يُشبِهُ البلدا

فلستَ تُبصرُ غلا واكِفاً خَضِلاً ... أو يانعاً خَضِراً، أو طائراً غَرِدا

كأنّما القيظُ ولّى بعد جَيْئَتِهِ ... أوِ الرّبيعُ دنا من بعدِ ما بعُدا

يا أكثر الناسِ إحساناً، وأعرضَهم ... سَيْباً، وأطولَهم في المكرُماتِ

ما نسألُ الله إلا أن تدوم لكَ الـ ... نعماءُ فينا، وأن تبقى لنا أبدا

* * *

(*) ديوان البحتري - شرح حسن كامل الصيرفي - دار المعارف 1963 - مج2 - ص 709.

الصنوبري(*)

أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي.

أمرُّ بدير مُرَّانٍ فأَحيَا ... وأجعَلُ بيتَ لَهوي بيتَ لَهْيا
ويُبْرِدُ غُلَّتي بَرَدى، فسُقْيا ... لأيامي على بَرَدى ورَعْيا
ولي في بابَ جَيْرونَ ظِباءٌ ... أُعاطيها الهوى ظَبْياً فَظَبْيا
ونِعم الدارُ داريّا ففيها ... حلا لِيْ العَيْشُ حتى صارَ أريا
صفَتْ دُنيا دِمشقَ لساكنيها ... فلستَ ترى بغير دِمشْقَ دُنيا
تفيض جداولُ البِ لَّورِ فيها ... خلال حدائقٍ ينبثْنَ وشيا
مُظَلَّلَةٌ فواكهها بأبهى الـ ... مناظِرِ في نواظِرِنَا وأهْيَا .
فمِنْ تُفَّاحة لم تَعْدُ خدّاً ... ومن رُمَّانة لم تَعْدُ ثديا

* * *

(*) ديوان الصنوبري، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، د. ت، ص 465.

دان له مشرقها ومغربها

المتنبّي

قال يمدح عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز:

أَوهٍ بَديلٌ مِن قَولَتي : واها لِمَن نَأَتْ وَالبَديلُ ذِكراها
أَوهٍ لِمَن لا أَرى مَحاسِنَها وَأَصلُ واهاً وَأَوهِ مَرآها
شامِيَّةٌ طالَما خَلَوتُ بِها تُبصِرُ في ناظِري مُحَيّاها
فَقَبَّلَت ناظِري تُغالِطُني وَإِنَّما قَبَّلَت بِهِ فا ها
فَلَيتَها لا تَزالُ آوِيَةً وَلَيتَهُ لا يَزالُ مَأواها
كُلُّ جَريحٍ تُرْجَى سَلامَتُهُ إِلاّ فُؤاداً رمتْهُ عَيناها
تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّما ابْتَسَمَتْ مِن مَطَرٍ بَرقُهُ ثَناياها
ما نَفَضَتْ في يَدي غَدائِرُها جَعَلْتُهُ في المُدامِ أَ فواها
في بَلَدٍ تُضرَبُ الحِجالُ بِهِ على حِسانٍ وَلَسْنَ أشباها
لقِينَنا وَالحُمولُ سائرَةٌ وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أمواها
كُلُّ مَهاةٍ كَأَنَّ مُقلَتَها تَقولُ : إِيّاكُمُ وَإِيّاها
فيهِنَّ مَن تَقطُرُ السُيوفُ دماً إِذا لِسانُ المُحِبِّ سَ مّاها
أُحِبُّ حِمصاً إِلى خُناصِرَةٍ وَكُلُّ نَفسٍ تُحِبُّ مَحياها
حَيثُ اِلتَقى خَدُّها وَتُفّاحَ لُبـ نانَ وَثَغري عَلى حُمَيّاها
وَصِفتُ فيها مَصيفَ بادِيَةٍ شَتَوتُ بالصَّحصَحانِ مَشتاها
إِن أَعشَبَتْ رَوضَةٌ رَعَيناها أَو ذُكِرَت حِلَّ ةٌ غَزَوناها
أَو عَرَضَت عانَةٌ مُقَزَّعَةٌ صِدنا بِأُخرى الجِيادِ أُولاها

* * *

عرّجْ إذا ما شِمْتَ برقَ الشآمْ وحيِّ أهلَ الحيِّ واقرَ السلامْ
وانزلْ بإقليمٍ جزيلِ الحَيا بارك فيه الله ربُّ الأنامْ
العزُّ والنصرُ لديه، وما لِعُروةِ الإسلام عنه انفِصامْ
من أولياء الله كم قد حوى ركناً بمرآه يطيبُ المقامْ
وهو مقرُّ الأنبياء الأُلى والأصفياء الأتقياِ الكرامْ
كم من شهيدٍ في حماةُ وكمْ من عالمٍ فردٍ وكم من إمامْ

* * *

لسان الدين ابن الخطيب

بلدٌ تحفُّ به الرياض كأنّه وجهٌ جميلٌ والرياض عِذارُهُ

وكأنّما واديه معصمُ غادةٍ ومن الجسور المحكماتِ سوارُهُ

* * *

تزيد على مرّ الزمان طُلاوةً دمشقُ التي راقت بحُلوِ المشارِبِ
لها في أقاليم البلادِ مشارقٌ منزَّهةٌ أقمارُها عن مغارِبِ

* * *

محاسن الشام أجلى من أن تُسامَ بحدِّ
لولا حِمى الشرعِ قلنا ولم نقف عند حدِّ :
كأنّها معجزاتٌ مقرونةٌ بالتحدّي
والروض قد راق العيون بحُلّةٍ قد حاكها بسحابِهِ آذارُ
وعلى غصونِ الدوح خُضرُ غلائلٍ والزهرُ في أكمامِهِ أزرارُ

* * *

أمّا دمشقُ فخضرةٌ لعبتْ بألباب الخلائقْ
هي بهجة الدنيا التي منها بديع الحسن فائقْ
لله منها الصالحيّـ ـةُ فاخرتْ بذوي الحقائق
والغوطةُ الغنّاء حيّـ ـتْ بالورود وبالشقائقْ
والنهرُ صافٍ والنسيـ ـمُ اللدنُ للأشواقِ سائقْ
والطيرُ بالعيدانِ أبـ ـدتْ في الغنا أحلى الطرائقْ
ولآلئ الأزهارِ حلّـ ـت جيدَ غُصنٍ فهو رائق
ومراودُ الأمطارِ قد كُحلتْ بها حِدقُ الحدائق
لا زال مغناها مصو ناً آمناً كلَّ البوائق

* * *

دمشقُ راقتْ رؤاءً وبهجةً وغضارهْ
فيها نسيمٌ عليلٌ صحّ فوافتْ بشارَهْ
وغوطةٌ كعروسٍ تُزهى بأعجب شارَهْ
يا حُسنها من رياضٍ مثل النضار نضارَهْ
كالزّهرِ زهراً وعنها عرفُ العبير عبارَهْ
والجامعُ الفردُ منها لِمَنْ أراد اختصارَهْ
تذكيرها من رآها عدناً وحسبي إش ارَهْ

دامت تفوقُ سواها إنالةً وإنارهْ

* * *

قال لي : ما تقول في الشام؟ حَبْرٌ كلّما لاح بارقُ الحسنِ شامَهْ
قلتُ : ماذا أقول في وصف قطرٍ هو في وجنة المحاسِنِ شامَهْ
قال لي: صِفْ دمشقَ. مولًى رئيسٌ جمّل الله خَلقَهُ واحتِشامَهْ
قلتُ: كَلَّ اللسانُ في وصف قُطرٍ هو في وجنة البسيطةِ شامَهْ

* * *

وإذا وصفتَ محاسنَ الدنيا فلا تبدأْ بغير دمشقَ فيها أوّلا
بلدٌ إذا أرسلتَ طرْفَكَ نحوه لم تلقَ إلا جنّة أو جدولا
ذا وصفُ بعضِ صفاتِهِ وهي التي تُعيي البلغَ وإن أجاد وطوّلا

* * *

سقى دمشقَ الشامِ غيثٌ ممرعٌ من متسهلٍّ ديمةٍ دفّاقِها
مدينةٌ ليس يضاهى حسنُها في سائر الدنيا ولا آفاقِها
تودُّ زوراءُ العراقِ أنّها تُعزى إليها لا إلى عِراقِها
فأرضُها مثل السماءِ بهجةً وزهرُها كالزُّهْرِ في إشراقِها
نسيمُ ريّا روضِها متى س رى فكَّ أخا الهمومِ من وثاقِها
قد ربَعَ الربيعُ في ربوعِها وسيقتِ الدنيا إلى أسواقِها
لا تسأمُ العيونُ والأنوفُ من رؤيتِها يوماً ولا انتشاقِها

* * *

فما رياضُ زهر الربيعِ إذا بدت في وشيها البديعِ
ضاحةً عن شنبِ الأقاحِ عند سُفور طلعةِ الصباحِ
غنّى بها مطوّق الحمامِ وصافحتها راحةُ الغمامِ
وباكرتها نسمةٌ من الصَّبا فأصبحتْ كأنّها عهدُ الصِّبا
نضارةً ورونقاً وبهجهْ تُفدى بكلّ ناظرٍ ومهجَهْ
أطيبُ من ثنائهم عبيرا بين الورى، واسأل به خبيرا
دامتْ معاليهم على طول الزَّمنْ يُروى حديثُ الفضل عنها عن حسنْ
وثابتٍ وقُرّةٍ وسعدِ وأُسعفوا بنَيْلِ كلِّ وعدِ
فهي التي ضَحِكَ البهارُ صباحَها وبكتْ عشيَّتَها عيونُ النرجسِ

واخضرّ جانبُ نهرِها فكأنّهُ سيفٌ يُسَلُّ وغمدُهُ من سندسِ

* * *

إن تكن جنّة الخلودِ بأرضِ فدمشقٌ، ولا يكون سواها
أو تكن في السماء فهيَ عليها قد أمدّت هواءها وهواها
بلدٌ طيبٌ وربٌّ غفورٌ فاغتنمها عشيّةً وضحاها

* * *لَمَّا وردتُ الصّالحيّـ ـةَ حيثُ مجتمعُ الرفاقِ
وشمِمْتُ من أرض الشآ مِ نسيم أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لِي ولِمَنْ أُحِـ ـبُّ بجمع شملٍ واتّفاقِ
وضحكتُ من فرح اللّقا ء كما بكيتُ من الفراقِ
لم يبقَ لي إلا تجشُّ مُ أزمنِ السّفر البواقي
حتى يطول حديثُنا بصفاتِ ما كنّا نلاقي

* * *

دمشق(*)

أحمد شوقي

قُمْ ناجِ جِلَّقَ وانشُدْ رَسْمَ مَنْ بانو ا

مَشَتْ على الرسمِ أحداثٌ وأزمانً

هذا الأديم كتابٌ لا كِفاءَ لَهُ

رثُّ الصحائفِ باقٍ منه عنوانُ

الدين والوحي والأخلاق طائفةٌ

منه وسائرُهُ دنيا وبهتانُ

ما فيه إن قُلّبتْ يوماً جواهرُهُ

إلا قرائحُ من رادٍ وأذهانُ

بنو أميَّةَ للأنباء ما فتحوا

وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتهُمُ

فهل سألتَ سريرَ الغرب ما كانوا؟

عالين كالشمسِ في أطرافِ دولتها

في كلِّ ناحيةٍ مُلْكٌ وسلطانُ

يا ويح قلبيَ مِمّا انتابَ أرسُمَهُمْ

سرى به الهمُّ أو عادته أشجانُ

ب الأمس قمتُ على الزهراء أندبهم

واليومَ دمعي على الفيحاء هتانُ

في الأرض منهم سَماواتٌ وألويةٌ

ونَيِّراتٌ وأنواءٌ وعُقبانُ

معادن العزِّ قد مال الرغام بهم

لو هان في تربه الإبريزُ ما هانوا

(*) الشوقيّات، أحمد شوقي، مج 2، دار الفكر، دمشق، د. ت، ص 99.

لولا دمشقُ لَما كانت طليطلةٌ

ولا زَهَتْ ببني العبا س بَغْدانُ

مررتُ بالمسجد المحزون أسأله :

هل في المصلّى أو المحرابِ مروانُ

تغيّر المسجدُ المحزون واختلفت

على المنابر أحرارٌ وعُبدانُ

فلا الأذان أذانٌ في منارته

إذا تعالى، ولا الآذان آذانُ

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنته

دمشقُ رَوحٌ وجناتٌ وريحانُ

قال الرفاق وقد هبّتْ خمائلها :

الأرض دارٌ لها الفيحاءُ بستانُ

جرى وصفّق يلقانا بها بردى

كما تلقّاكَ دون الخُلدِ رضوانُ

دخلتها وحواشيها زُمُرُّدةٌ

والشمس فوق لجين الماء عِقْيانُ

والحور في دُمَّر أو حولَ هامتها

حورٌ كواشفُ عن ساقٍ، ووِلدانُ

وربوة الواد في جلبابِ راقصةٍ

الساقُ كاسيةٌ والنحرُ عريانُ

والطير تصدح من خلف العيون بها

وللعيون كما للطير ألحانُ

وأقبلتْ بالنبات الأرضُ مختلفاً

أفوافُهُ، فَهْوَ أصباغٌ وألوانُ

وقد صفا بردى للريح فابتَرَدَتْ

لدى ستور حواشيهنَّ أفنانُ

ثم انثنتْ لم يزل عنها البَلال ولا

جفَّت من الماء أذيالٌ وأردانُ

خَلَفْتُ لبنانَ جناتِ النعيم وما

نبِّئتُ أنَّ طريق الخُلْدِ لُبنانُ

حتى انحدرتُ إلى فيحاءَ وارفةٍ

فيها الندى وبها طَيٌّ وشَيْبانُ

نزلت فيها بفتيان جَحاجحَةٍ

آباؤهم في شباب الدهر غَسّانُ

بيض الأسرّة باقٍ فيهمُ صَيدٌ

من عبد شمس وإن لَم تبقَ تيجانُ

يا فتيةَ الشام؛ شكراً لا انقضاءَ له

لو أنَّ إحسانكمُ يُجزيه شُكرانُ

ما فوقَ راحاتكم يومَ السماح يدٌ

ولا كأوطانكم في البِشْر أوطانُ

خميلةُ الله وَشّتْها يداه لكم

فهل لها قَيِّمٌ منكم وجَنَّانُ؟

شِيْدوا لها الملك وابنوا رُكْنَ دولتها

فالملك غَرسٌ وتجديدٌ وبنيانُ

لو يرجع الدهر مفقوداً له خطرٌ

لآب بالواحد المبكيِّ ثَكلانُ

المُلْكُ أن تعملوا ما اسطَعْتُمُ عملاً

وأن يبين على الأعمال إتقانُ

المُلْكُ أن تخرج الأموالُ ناشطةً

لمطلبٍ فيه إصلاح وعمرانُ

المُلْكُ تحت لسان حوله أدبٌ

وتحت عقلٍ على جنبَيْهِ عِرفانُ

المُلْكُ أن تتلاقَوْا في هوى وطن

تفرَّقتْ فيه أجناسٌ وأديانُ

* * *

دمشق(*)

خليل مطران

رَفْدِيكِ بِالأَرْوَاحِ وَالأَجْسَادِ
إِنْ كَان قوْلٌ فَادِياً لِبِلاَدِ
يَا حُسْنَ حَاضِرةِ الْعُروبَةِ إِنّهَا
فِي كُلِّ مَعْنى نُجْعَةُ المرْتَادِ
مَنْ لي بِوَصْفِ جَمَالِهَا، وَجَمَالُهَا
يُعْيِي بَيَانَ الْوَاصِفِ المِجْوَادِ
بَرَدَى وَ نَضْرُ غِيَاضِهِ وَرِيَاضِهِ
نِعَمُ الْحَيَاةِ تَجَمَّعَتْ فِي وَادِ
مَاذَا يُرِيكُمْ مِنْ رَوَائِعِ حُسْنِهَا
تَصْوِيرُهَا بِبَرَاعَةٍ وَمِدَادِ
كَمْ فِي الحُزونِ وَفِي السُّهولِ وَرَاءَهَا
عَجَبٌ يَروعُ نَوَاظِرَ الأَشْهَادِ
آيَاتُ تَد بِيجٍ يَتِمُّ رُوَاؤُهَا
بِتَلَمُّعِ الأَنْهَارِ فِي الأَزْآدِ
وَيَكَادُ بَحْرُ الآلِ فِي أَطْرَافِهَا
يَشْجُو السَّمَاعَ بِمَوْجِهِ الْهَدَّادِ
حَتَّى يَصِيرَ مَدَى مَحَاسِنِهَا إِلى
سَفْحٍ يُطَوِّقُهَا بِطَوْقِ جِسَادِ
عَالٍ ذُرَاهُ يَلُ وحُ فَوْقَ بَيَاضِهَا
جَمْرُ الغَمَائِمِ مِنْ خِلاَلِ رَمَادِ

* * *

(*) ديوان خليل مطران، دار العودة، بيروت، 1984، 3 أجزاء.

دمشق

محمد البزم

أجلْ، جِلّق المجدِ مَدُّ العلا

ومهوى النفوس وسلوانها

كساها الربيع سنا حلّةٍ

يروع النواظرَ عنوانها

فنَيْرُبُها مجتلى الزاهرات

ومجلى ا لفراقد كيوانها

غرانقة المجد صِبوانها

ورائعة الخلد نسوانها

فلو حلّ رضوان أفياءها

سلا جنةَ الخلد رضوانها

لئن أَلِف اللهوَ سَهوانُها

وأغرق في الحزن أسوانها

فقِدماً أقامت صروحَ العَلاءِ

وحلّق في الجوّ إيوانها

* * *

دمشق(*)

محمد البزم

ريحانةُ الدنيا وظلُّ نعيمِها

من قبلِ مولدِ يعربٍ وثمودِ

بَسِمَتْ بها الدنيا إلى عشّاقِها

فتناهبوا وجَناتِها تخديدا

تلهو بأفئدة الظّباءِ ظباؤها

لَهْوَ الغرائرِ ما عرفنَ مكيدا

من كلِّ فاتنةِ المحاجرِ إن رنتْ

أو أومأتْ ذه بَ العميدُ عميدا

خَفِرَتْ ورنَّحها الدلالُ وهزّها

مرحُ الصِّبا فتدافعتْ تهويدا

شَفَّتْ فعَصْفَرَها الأصيلُ وزادَها

رأدُ الضُّحى بضيائِهِ توريدا

تُصبِي الحليمَ فلا يرى متحوَّلاً

عنها، وتُنسي العابدَ المعبودا

وتكاد تُشرِبُها النفوسُ لط افةً

وتكاد تحدُثُ في الوجودِ فقودا

فكأنّها (عَرَضٌ) تَمثَّل (جوهراً)

لو رُحْتَ تثبتُهُ ملئْتَ جُحودا

* * *

أختُ الخلودِ وما الخلودُ مفارقٌ

بَرَدَاكِ ما عشقَ الأنيسُ خُلودا

صافٍ كأخلاقِ الكرامِ يحثُّهُ

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية - د. سامي الدهان - ط 2 - 1968 - دار الأنوار - بيروت، ص 63.

كرمُ النِّجار لِيُنْعِشَ المَ فْؤودا

مترقرقٌ طوعَ النسيم، مسلسلٌ

كخواطر الشُّعراءِ رُمْنَ قصيدا

متكسِّرٌ كالماسِ تلبسُهُ الصِّبا

زرد الحبيكِ وما شف زَرُودا

يتخطّف الأبصارَ ثم يردُّها

ريّانةً لا تسأم الترديدا

قد أبصرتْ فيه المجرّة نفسَها

غيداء حاليةَ المعاطِ فِ رُودا

متهلِّلُ الجنَباتِ بسّام الثَّرى

يغريكَ بالحسنِ الجديد تليدا

ترنو إليه الشَّمسُ هافيةَ الحشى

حسّانةً عشقتْ فتًى أملودا

تنحطُّ عن كبدِ السَّماءِ وعندها

أن لو تبوّأ من تراه وصيدا

قَطَعَ القرونَ القهقريةَ مُسْرِعاً

واستشرفَ الآتي فجدَّ شديدا

حتى إذا بلغ الحدورَ وذللتْ

خطواتُهُ أخدودَهُ تعبيدا

رفدَتْهُ (فِيجتُهُ) العريقةُ بالندى

رفداً كما انبلجَ الصباحُ عَمودا

عجل الخطى صخباً على رضراضِهِ

صبباً ليدرك صنوه المورودا

وتفرّعت عنه بنوه صواعداً

في شامِخَ يْنِ مُدانِياً وبعيدا

كلٌّ يلاوذُ ظلمه في ماردٍ

متعرِّجٍ لا يأتلي تسديدا

نُهُرٌ كأنّ البيض فوق متونِها

نضدَتْ وحولَ ضِفافهنَّ عمودا

شيخٌ تُسابقُهُ الخطى أبناؤه

في السهل جوداً والمخارِمِ جودا

نفست على الشيخ السخاء فأسرعتْ

تنحو ضفـ افَ الغوطتين وخيدا

غوطتها:

لسعى لها الفردوس يطلب عندَها

مِنَحَ الجمالِ وشائجاً وعقودا

في كلِّ مشرفةٍ وكلِّ قرارةٍ

وحيٍّ يهيجُ من البيان رقودا

يفد الربيعُ على الربيعِ ويلتقي

فيها النديدُ من الخميلِ نديدا

سافرْ بلحظِكَ حيث شئتَ فلن ترى

إلا عجائبَ توجبُ التوحيدا

أنّى التفتَّ فجدولٌ مترنّمٌ

أو نائحٌ في أيكِهِ تغريدا

وسواكبٌ ومواكبٌ وكواكبٌ

تجري النحوسُ بجوِّهنَّ سُعودا

فإذا انحدرتَ فسابغاتٌ نُجِّدتْ

فيها النمارق والحلى تنجيدا

نفضتْ بها الزرقاء غرَّ نجومِها

نثراً تخال به اللِّحاظَ نقودا

وحنا عليها الليل ملتمساً بها

زهرَ الفراقِدِ توأماً ووحيدا

وإذا علوتَ فلجَّةٌ من خضرةٍ

تجري بسابحةِ اللِّحاظِ مديدا

ضحك الغديرُ إلى الغديرِ وقهقهتْ

لهما المتاعب مبدِئاً ومعيدا

عذراءَ تحسبها العشيّةَ م ومساً

تغري بزينتها الفحولَ الصيِّدا

غَنِجَتْ فدغدغها النسيمُ كما انتحتْ

أيدي الخلاعةِ في الصدورِ نُهودا

وثنت معاطِفها الغصونُ فكلُّها

ثملٌ يعانق من أخيه ميودا

يتمازج الدمعانِ : دمع غمامِها

بحبيس خضرتنا فتنضر عودا

وتكاد عاتية السح اب بجوِّها

تهوي فتلصق بالجميم سجودا

فُتِنَ الصباحُ بِها وغارَ مساؤها

فتباريا برّاً بها ورفودا

وافترَّ ثغرُ الليل عن أندائها

حباً على أزهارها منضودا

وكأنّما ركزت على أثباجها

تيجان أهل الخافقين بنودا

تتقلّص الجنّاتُ عن جنباتِها

خرفَ الرُّجومِ فما يُطِقْنَ وفودا

يسطو على عبق العبير عبيرُها

أرجاً لينعض أنفُساً وكبودا

ويلوذ معتلُّ الهواءِ بظلِّها

يرجو الشفاء مكبّلاً مكدودا

يكبو وينهض في أديم رياضها

خَضِلَ المعاطِفِ متعباً مجهودا

يلقي إلى جدلِ الجداولِ مسمع اً

لقنا، وآخَرَ للّحونِ صُيودا

رقّت له كبدُ الجواهرِ وارعوى

طاغي العواطِفِ فانتحَيْنَ وئيدا

وقضى على الرمضاء في صحرائها

وأقام في وجه الحرور سدودا

* * *

حيِّ الشآم[*]

إيليا أبو ماضي

حيِّ الشآم مهنّداً وكتاباً والغوطةَ الخضراءَ والمحرابا
ليست قِباباً ما رأيتُ وإنّما عزمٌ تمرّد فاستطال قِبابا
فالثِمْ بروحك أرضها تلثِمْ عصوراً للعلى سكنت حصًى وترابا
واهبط على بردى يصفِّق ضاحكاً يستعطفُ التلَعاتِ والأعشابا
روحٌ أطلّ من السماء عشيةً فرأى الجمال هنا ... فحنَّ،
وصفا وشفَّ فأوشكت ضفآتُهُ تنسابُ من وجدٍ به منسابا
بل أدمعٌ حورُ الجنان ذَرَفْنَها شوقاً، ولم تملك لهنَّ إيابا
بردى ذكرتُك للعَطاشى فارتَوَوْا وبني النُّهى فترشَّفوكَ رِضابا
مرّت بكَ الأدهارُ لم تخبُثْ، تفسد، وكم خبُثَ الزّمانُ وطابا

* * *

بأبي وأمّي في العراء موسَّدٌ بعث الحياةَ مطامعاً ورِغابا
لمّا ثوى في ميسلونَ ترنّحتْ هضباتُها وتنفّست أطيابا
وأتى النجومَ حديثُهُ فتهافتتْ لتقومَ حرّاساً له حُجّابا
ما كان يوسفُ واحداً بل موكباً للنور غلغل في الشموس فغابا
هذا الذي اشتاق الكرى تحتَ الثرى كي لا يرى في جِلَّقَ الأغرابا
وإذا نبا العيشُ الكريمُ بماجدٍ حرٍّ رأى الموتَ الكريمَ صوابا
إنّي لأُزهى بالفتى وأحبُّهُ يهوى دمشْق في عيون
ويضوع عطراً كلّما شدّ الأسى بيديه يعركُ قلبه الوثّابا
ويسيلُ ماءً إن حواهُ فَدْفَدٌ وإذا طواهُ الليلُ شعّ شهابا
وإذا العواصفُ حجّبت وجه السما جدلَ العواصفَ للسما أسبابا
وإذا تقوّض صرحُ آمالٍ بنى أملاً جديداً من رجاءٍ خابا

(*) ديوان إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، تقديم: جبران خليل جبران، دار العودة، بيروت، ص 167 – 170.

فابنُ الكواكبِ كلُّ أُفْقٍ أُفْقُهُ وابنُ الضراغِمِ ليس يَعْدِمُ غابا

* * *

عجباً لق ومي والعدوُّ ببابهم كيف استطابوا اللهوَ والألعابا؟
وتخاذلت أسيافهم عن سحقِهِ في حينِ كان النصرُ منهم قابا
تركوا الحسامَ إلى الكلام تعلُّلاً يا سيفُ ليتَك ما وجدتَ قِرابا
دنياكَ، يا وطن العروبةِ، غابةٌ حشدتْ عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماءَ الحديدِ مطارفاً واجعل لسانَك مخلباً أو نابا
لا شرعَ في الغاباتِ إلا شرعَها فدعِ الكلامَ شكايةً وعِتابا
هذي هي الدنيا التي أحببتَها وسقيتَ غيركَ حبَّها أكوابا
وضحكتَ معْ أحلامِها، وبكيتَ آلامِها، وجرعتَ مَعْها الصَّابا
وأضلَّ روحَك في ال سُّرى ما خلتَهُ ماءً فكان سرابا
ونظرتَ، والأوصابُ تنهشُ فرأيتَ كلَّ لذاذةٍ أوصابا
شاء الظلومُ خرابَها فإذا الولى لا يبصرون سوى نُهاهُ خرابا
دنيًا تألّق أمسُها في يومِها فاستجمَعَ الأنسابَ والأحسابا
وسرى سناءُ الوحي من آفاقِه ا يغشى العصورَ ويغمرُ
ألحقُّ ما رفعتْ به جدرانُها والخير ما زانت به الأبوابا
فاستنطِقِ التاريخ هل في سِفرِهِ مجدٌ يضاهي مجدَها الخلاّبا؟
شابتْ حضاراتٌ، ودالَتْ أممٌ، ومجدُ أميَّةٍ ما شابا
الأمسُ كان لها وإنَّ لها غداً تتلفّتُ الدنيا له إعجابا
غنّيتَ من قبلُ المحولةَ والعَرا أفلا تغنّي الروضةَ المِخصابا؟
عطفتْ لياليَها عليكَ بشاشةً فانسَ الليالي غربةً وعذابا
وانشرْ جناحَكَ، فالفضاءُ منوِّرٌ واملأ كؤوسكَ قد وجدتَ شرابا
فلِشَدْوِ مثلِكَ كُوِّنتْ، ولِمِثلِها خلق الإلهُ البلبلَ المِطرابا

* * *

ليتَ الرياضَ تعيرني ألوانَها لأصوغَ منها للرئيس خطابا
وأقولَ : إنّي عاجزٌ عن شكرِهِ عَجْزَ الأنامِلِ أن تلُمَّ عُبابا
أشكو إلى نفسي العياءَ فتشتكي مثلي، وتصمُتُ لا تَحيرُ جوابا
فلقد رأيتُ البحر حينَ رأيتُهُ فوقفتُ مضطربَ الرّؤى هيّابا

أعميدَ سوريّا وكاشفَ ضُرِّها خلقتْ يداكَ من الشيوخِ شبابا
وبلابلٌ كانت تئنُّ سجينةً أطلقتَها وأطرتَها أسرابا
يا صاحبَ الخلق المصفّى لو لم تكن بَشَراً لكنتَ سحابا
أملُ الشبيبةِ في يديكَ وديعةٌ فارفع لها الأخلاق والآدابا
فالجهلُ أنّآ كان فهو عقوبةٌ والعلمُ أنّى كان كان ثوابا
يا ويحَ نفسي كم تطاردني النَّوى وتهدُّ منّي القلبَ والأعصابا
ودّعتُ خلف البحرِ أمسُ أحبّةً وغداً أودِّع هاهنا الأحبابا

* * *

الغوطة

خليل مردم بك

كم من أزاهير الرياض لناظرٍ من مقلة وَسْنى وخدٍ ناضِرِ
ما ست أماليد الغصون بوشيها معطارةً وازّيّنتْ بجواهرِ
لله ما صنعتْ وما جاءت به في الغوطتين يد الربيع الباكرِ
بسطتْ وثير قطيفة فوق الثرى خضراء فيها كلِّ لونٍ زاهرِ
من أحمرٍ قانٍ وأصفرَ فاقعٍ أو أزرق زاهٍ وأبْيَضَ سافرِ
وكست وحلّت سمحة أشجارُها فجلت عرائسها بوشي فاخرِ
معقودةُ الإكليل زهراءُ الحلى خفّاقةُ الأقراطِ ذاتُ أساورِ
أرْخت من الظلِّ الظليل غصونها طرراً وأذيالاً وفضل مآزرِ
حيّا جنان الغوطتين وجادها سمح القِياد من السحاب الماطرِ
حُلُمٌ من الإبداع فيها ماثلٌ من دونه يعيا خيال الشاعرِ
تتناثر الأزهار في أجوائها مبثوثة مثل الفراش الثائرِ
فنٌ يرنّحه النسيم كأنه نشوان من نَفَسٍ برودٍ عاطرِ
عرفت جباه الزهر من قطر النّدى ملتفّة الأعناق ذات تآطرِ
كالبكر يرشح للحياء جبينها عرقاً إذا ضُمّت لصدر الهاصِرِ
وإذا الرياح تأوّهتْ سقط الندى من كلِّ زاهرةٍ كدمع هامرِ
وترى الجميم إذا الرياح ناوحت متموجاً مثل الغدير المائر
وشقائق النعمان في قيعانها تقطيع أكبادٍ وشقّ مرائرِ
والشمس من خلل الغصون على الثر كدراهمٍ ألقت بها يد ناثرِ
وترى الجداول كالوذيلة رَونقاً من مستقيمٍ في المسير وجائرِ
والأيك في شطآنها كنعائمٍ مدّت بأعناق لها ومناقرِ
مرآة أحلامي ومرتع صبوتي وهوى فؤادي بل ومتعة ناظري
في كلِّ مغنى من فؤادي شعبةٌ وبكلِّ وادٍ هائمٌ من خاطري
وتكاد أخيلتي تطلّ عليّ فيّ أرجائها من طائفٍ أو زائرِ
كم جولةٍ لي ثمّ جائرةِ الخطا بين الخمائل كالفراش الحائر
يقتادني في كلِّ شطرٍ جاذب من منظرٍ نضرٍ وحسنٍ باهرِ

ضفاف بردى(*)

بشارة الخوري

سلْ عن قديمِ هوايَ هذا الوادي
هل كان يخفُقُ فيه غيرُ فؤادي

عهدَ الطفولةِ في الهوى كم ليلةٍ
مرّت لنا ذهبيّةِ الأبرادِ

إذ نحنُ أهونُ أن نحرّكَ ساكناً
في حاسدٍ أو غُلَّةً في صادِ

تتضاحكُ الزُّهْرُ النجومُ لأدمعي
في جيدِها، فإخالُها حسّادي

وأكاد أمتشقُ الغصونَ تشفّياً
لتهامُسِ الأور اق في الأعوادِ

غِرّانِ نمرحُ في الهوى وفُتُونِهِ
وعلى خدودِ الوردِ والأجيادِ

ونُحِسُّ بالبين المُشِتِّ فلا نرى
غيرَ العِناق على النّوى من زادِ

نتخاطفُ القُبَلَ الصِّباحَ كصِبْيةٍ
يتخاطفون هديّة الأعيادِ

متواثبَيْنِ كطائرَيْنِ تشابكا
وتضارب المنقادُ بالمنقادِ

* * *

أنا مذْ أتيتُ النهرَ آخرَ ليلةٍ

(*) الأخطل الصغير، دار صادر، بيروت، 1965، ص 142.

كانت لنا، ذكّرتُهُ إنشادي

وسألتُهُ عن ضفّتَيْهِ : ألم يزلْ

لي فيهِما أُرجوحتي ووِسادي

فبكى ليَ النهرُ الحنونُ توجّعاً

لمّا رأى هذا الشّحوبَ البادي

ورأى مكانَ الفاحِ ماتِ بِمَفرِقي

تلكَ البقيّةَ من جُذًى ورمادِ

* * *

تلكَ العشية ما تُزايِلُ خاطري

في سفحِ دُمَّرَ والضِّفافُ هوادي

شفّافةُ اللَّمَحاتِ نيّرةُ الرّؤى

ريّا الهوى أزليّةُ الميلادِ

أبداً يطوفُ خيالُها بنواظري

فأجِلُّه بينَ الكرى وسُ هادي

وأهُمُّ أرشُفُ مقلتَيْهِ وثغرَهُ

فيغوص في أُفُقٍ من الأبعادِ

إيهٍ خيالَ المانعي طيبَ الكرى

أيُتاحُ لي رُجعى معَ الرُّوّادِ

لي في قرارِ الكأسِ بعدُ بقيّةٌ

سمحتْ بها الآلامُ للعُوّادِ

حنّتْ لها خُضْرُ الدوالي رقّةً

وبكى لها ج فن النسيم النادي

هيَ كُنْهُ إحساسي وروح قصائدي

ومطاف أحلامي ورُكنُ ودادي

للشعر منطلِقَ الجوانحِ هائماً

بين السواقي الخُضْرِ والأورادِ

متخيِّراً منهنّ ما ابتكر الضحى

من لؤلؤٍ غِبَّ السحابِ الغادي

أندى على جفنٍ يساورُهُ الأسى

وأخفُّ من مرح الهَزارِ الشادي

بردى؛ هل الخلدُ الذي وَعدوا بهِ

إلاكَ بين شوادنٍ وشوادي

قالوا : تحبُّ الشامَ؟ قلتُ : جوانحي

مقصوصةٌ فيها، وقلتُ : فؤادي

* * *

دمشق

أنور العطار

دمشق ائتلاف الربيع الجديد

وإشراقة الفجر إمّا ابتسَ م

وريحانة ندّيت بالهوى

وزنبقة روّيت بالحكَم

على مهدها رائعات النبوغ

وفي ساحها قبسات الهمم

وفي تربها المسك مسك الخلود

وفي جوّها العطر عطر الشيم

تندّت مسارحها بالسماح

وماجت أباطحها بالكرم

وما هي إلا كتاب البقاء

وما هي إلا سجل ال عظم

مطاف الجلال، مراد الجمال

ملاذ العهود، مقرّ الذمم

ملاعب حافلة بالمنى

مراتع طافحة بالنِّعم

فما يعرف القلب معنى الأسى

وما تدرك الروح طعم الألم

على كل قلبٍ محبٍ رباب

تغنّى وفي كل ثغرٍ نغم

* * *

نجـوى(*)

خير الدين الزركلي

العينُ بعد فراقِها الوَطَنا
لا ساكناً أَلِفَتْ ولا سَكَنا
ريّانةً بالدمعِ أقْلَقَها
ألاّ تُحِسَّ كرًى ولا وَسَنا
كانت ترى في كلِّ سانحةٍ
حُسْناً، وباتت لا ترى حَسَنا
والقلبُ لولا أنَّةٌ صعدتْ
أنكرتُهُ وشككتُ فيه أنا
ليتَ الذين أح بُّهم علموا
وهم هنالك ما لقيتُ هنا
ما كنتُ أحسبُني مفارقَهم
حتى تفارقَ روحيَ البَدَنا

* * *

يا موطناً عبث الزمانُ به
مَنْ ذا الذي أغرى بكَ الزّمنا
قد كان لي بكَ عن سواكَ غِنًى
لا كان لي بسواكَ عنكَ غِنى
ما كنتَ إلا روضةً أُنُفاً
كرُمَتْ وطابَتْ مَغْرِساً وجَنَى
عطفوا عليكَ فأوسعوكَ أذًى
وهُمُ يسمّون الأذى مِننا
وحنَوْا عليكَ فجرّدوا قُضُبا
مسنونةً وتقدّموا بقَنا

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – ط 2 – 1968 – دار الأنوار – بيروت، ص 179.

يا طائراً غنّى على غُصُنٍ

و (النيلُ) يسقي ذلك الغُصُنا

زِدْني وهِجْ ما شئتَ من شَجَني

إن كنتَ مثلي تعرفُ الشَّجَنا

أذكَرْتَني ما لستُ ناسيَهُ

ولربَّ ذكرى جدّدَتْ حُزُنا

أذكرتني (بردى) ووادِيَهُ

والطيرَ آحاداً به وثُنى

وأحبّةً أسررتُ من كلفي

وهوايَ فيهم لاعِجاً كَمِنا

كم ذا أغالبه ويغلبني

دمع إذا كفكفتَهُ هتَنا

إنّ الغريبَ معذّبٌ أبداً

إن حلَّ لم ينعمْ، وإن ظَعَنا

لو مثّلوا لي موطني وثناً

لهممتُ أعبُدُ ذلك الوثنا

* * *

بين الدم والنار (*)

خير الدين الزركلي

الأهل أهلي والديارُ دياري وشعارُ وادي النيربينِ شعاري
ما كان من ألمٍ بجِلَّقَ نازلٍ وارى الزناد، فزنده بي واري
إنّ الدمَ المُهْراقَ في جنباتِها لَدمي، وإنّ شفارَها لَشِفاري
دمعي لِما مُنِيَتْ به جارٍ هنا ودمي هناكَ على ثراها جاري

* * *

يا وامضَ البرقِ اطمئنَّ وناجِني إنْ كنتَ مطّلِعاً على الأسرارِ
ماذا هناكَ؟ فإنَّ صوتاً راعني والصوتُ فيه جفوةُ الإذعارِ
النار مُحْدِقةٌ بِجِلَّقَ بعد ما تركت (حماةَ) على شفيرٍ هارِ
تنسابُ في الأحياءِ مسرعةَ الخُطى تأتي على الأطمار والأعمارِ
والقوم منغمسونَ في حَمَآتِها فتكاً بكلِّ مبرَّأٍ صبّارِ
الطفلُ في يدِ أمِّه غرضُ الأذى يُرمى وليس بخائضٍ لغِمارِ
والشيخ متّكئاً على عكّازِهِ يُرمى، وما للشيخِ من أوزارِ
صبرتْ دمشقُ على النّكالِ ليالياً حَرُمَ الرُّقادُ بها على الأشفارِ
لَهفي على المتخلِّفين برَحْبِها كيف القرارُ، ولاتَ حينَ قرارِ
يترقّبون الموتَ في غَدَواتِ هم وإذا نَجَوْا فالموتُ في الأسحارِ
لا يعلمون أفي سواد دُجْنةٍ هُمْ سُهَّدٌ أم في بياضِ نهارِ
الوابلُ المدرارُ من حِمَمِ اللظى متواصلٌ كالوابلِ المدرارِ
والظلمُ منطلقُ اليدينِ محكَّمٌ يا ليت كلَّ الخطبِ خطبُ

* * *

أمجالِسَ السُّمّارِ، ضاحكةً بهم ضحكَ الهوى، ما حلَّ
أمعاهدَ الأدبِ الطريف ثكلتُهُ غضَّ الصِّبا، كتفتُّحِ الأزهارِ
أمَّ القصورِ نواعماً ربّاتُها ما للقصورِ دوائرُ الآثارِ؟
أمَّ الجنانِ، الكاسياتِ رياضَها حللُ السّنا، ما للرياضِ عواري؟

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – ط 2 – 1968 – دار الأنوار – بيروت، ص 180.

أمَّ الحي اةِ، وللحياةِ نعيمُها هل في ديارِكِ بعدُ من دَيّارِ؟
زهوُ الحضارةِ أنتِ مطلعُ شمسِهِ أفتغتدينَ وأنتِ دارُ بَوارِ؟
ويحَ الحضارةِ؛ كيف يَمتَهِنُ اسمَه متكالبون على الضِّعافِ،
همْ أورَدوكِ وأصدروكِ على فشقيتِ في الإيرادِ والإصدارِ
هم أحرجوكِ فأخرجوكِ مهيجةً فصرختِ فيهم صرخةَ الجبّارِ
طالت لياليكِ الثلاثُ وإنّما في مثلهنَّ يلوح نهجُ السّاري
ما انهار قصرٌ في حِماكِ ممرَّدٌ إلاّ ليرفعَ فيكِ قصرَ فَخارِ
ما دمّروكِ همُ ولكنْ دمّروا ما كان فيكِ لهم من (استعمارِ)
حملوا عليكِ مواثبينَ وما لهم ثأرٌ، وثرتِ وأنتِ ربّةُ ثارِ
ما ينقِمون عليكِ إلا أنّهم شهدوكِ غيرَ مَقودةٍ لصَغارِ
فإذا المنازل وهي شامخةُ الذُّرى منهار أطلالٍ على منهارِ
وإذا المدينة (تدمرٌ) أو (نينوى) أنقاضُ عمرانٍ ورسمُ دمارِ

* * *

قم سائلِ الأجيالَ يا بن نسيجِها واستوحِ غامضَ سرِّها المتواري
فلعلَّ عبرةَ مجتلي صفحاتِها فيما محاه الدهرُ من أسطارِ
إنَّ الشعوبَ لتستفيقُ إذا انتشتْ والصحوُ غايةُ نشوةِ الإسكارِ
أرأيتِ كيف طغى الفِرَنْجُ وأوغروا صدرَ الأسنّةِ أيّما إيغارِ
أرأيتِ كيف استه تروا بمطامعِ فيها المصارعُ، أيَّما استهتارِ
الشرق بين قويِّهم وضعيفِهم متداولُ الأنجادِ والأغوارِ
وبنوه بين وعيدهمْ ووعودِهمْ شتّى المذاهِبِ، شُرَّدُ الأفكارِ
لا تأمنَنَّ فأنتَ بين مكافحِ منهم وبين مخادعِ غرّارِ
وانظر إلى الآلافِ من بُسلائه م يغزوهمُ مئةٌ من (الثوّارِ)
من كلِّ مغوارٍ صليبٍ عودُهُ يقتادُ كلُّ مدجَّجٍ مغوارِ
الواثبين إذا يُقال : تأهّبوا والقاحمين إذا يُقال : بَدَارِ
إن أنصفتْ أيام (ذي قارْ) لنا سلفاً فنحن اليوم في (ذي قارِ)
طارتْ بألبابِ الفِرِنْجةِ صيحةٌ في الشامِ فاندفعوا إلى الأسوارِ
واستهدفوا الأطفالَ في حُجُراتِها والمُطْفِلاتِ وهنَّ في الأخدارِ
عمّوا بمضطربِ القذائفِ كلَّ ذي ضَعْفٍ، وخصُّوا كلَّ ذاتِ إزارِ

سترُوا بضربِ الآمنين فرارَهم فاعجبْ لعارٍ ستّروه بعارِ

* * *

غضبتْ لسُورِيَةَ الشهيدةِ أمّةٌ في مِصْرَ تُطْفِي غلَّة الأمصارِ

ورعتْ لها ذممَ الوفاءِ فلم يضعْ عهدٌ تسلسا ، فـ ـد الاعصار

دمشق في عيون

للهِ والتاريخِ والدَّمِ واللُّغَى حقٌّ ولـمـس و ـالثـر ا

تأبى الجماعةُ أن تهون والفرد موقوفٌ على الأقدارِ

وإذا العرى انفصمت تولّى أهلُها ضيمُ المُغيرِ بخطبِهِ الكُبّارِ

* * *

يا بن الكنانةِ ما الجراحُ دواماً في الشامِ إلا في طلى الأحرارِ

المشترين ديارَهم بدمارِهم وهم يرون به رِباحَ الشاري

أنفوا حياة الشاءِ كلَّ عشيّةٍ وضحًى تعيث بها يد الجزّارِ

هلاّ نظرتَ إلى الشآمِ فإنّها ترنو إليك بشاخِصِ الأبصارِ

ناءت بحِمْلِ نُكوبِها فتقلقلتْ موجاً بأطفالٍ هناكَ صِغارِ

ليس الجِوارُ إذا عدلتَ بمقنعِ يأبى الشقيقُ عليكَ حقَّ الجارِ

* * *

أتيت جلّق[*]

أحمد صافي النجفي

أتيت جِلَّقَ مجتازاً على عجلٍ
فأعجبت ني حتى اخترتها وطنا
لا يبرح الحسن يوماً عن مرابعها
كأنما الحسن من قِدْمٍ بها افتتنا
لا يرتضي الطَّرْفُ شُغلاً عن محاسنها
حتى تعادي فيها المقلةُ الوسنا
أيقنت أنّيَ من أهل الجنان، ففي
دمشق أسكن جَنّاتٍ تفيض هَنا
عجبت ممّن أتاها كيف يبرحها
فهل يرى في سواها عن دمشق غِنى
ما جنة الخلد إلا للذي سَكَنا
بها وما النار إلا للذي ظعنا
يكاد ينسى غريبُ الدار موطنه
في ربعها ويعافُ الأهلَ والسَّكنا
إني امرؤ عربيٌّ والعلا نسبي
في أيِّ أرضٍ أرى عُرْباً أرى وطنا

* * *

(*) سلسلة «شعراؤنا»، أحمد الصافي النجفي، دار صادر، بيروت.

بردى(*)

جورج صيدح

حلمت أني قريب منك يا بردى
أبلّ قلبي كما بل الهشيمَ ندى
ونصب عيني من البلدان أبدعها
سبحان من أبدع السكان والبلدا
دمشق أعرفها بالقبّة ارتفعت
بالمرجة انبسطت بالشاطئ ابتردا
بالطيب يعبق في الوادي وأطيبه
في تربة الأرض غذّاها دم الشهدا
أمشي على الضفة الخضراء مؤتنساً
بالحور والسَّروِ والصفصاف منفردا
وأهبط المنحنى مستنطقاً فمه
صدى الليالي الخوالي لو يعيد صدى
تغوص في لجك الثرثار ذاكرتي
على الأغاني التي أسمَعَتني ولدا
من الهدير على البطحاء مبتدراً
إلى الخري ر على الحصباءِ متّئدا
فأنثني وربيع العمر عاودني
كأنني لم أُضعه بالنّزوح سدى
يا مورد الغوطة الفيحاء ما بخلت
بالأطيبين وما ضاقت بمن وَرَدا
أهواك في ثوبك الفضيّ زركشه
بدر الدجى بشعاع حوله مسدا
أهواك في قلبك الشفاف لاح به

(*) قصة الأدب المهجري، ص 227.

ظل المآذن والأ شجار مطّردا

أهواك كالليث وثّاباً ومقتحماً

كالأفعوان تلوى كالغزال عدا

أهواك في يقظتي، أهواك في حلمي

أهواك مقترباً، أهواك مبتعدا

قسمت كفك حباً بالقطين إلى

أصابع سبعة فاضت عليه جدا

ملأت منك يدي بعد امتلاء فمي

ولو قدرتُ ملأتُ الصدر والك بدا

حتى أقول لدهر سامني ظمأ

في غربتي لن تراني ظامئاً أبدا

* * *

فردوس الأحلام

جورج صيدح

هشّت سماء الشرق للمغرب
ولوّحت بالشمس للموكب
بين الدراري مركب طائر
يشق باب الفجر في الغيهب
ما أليق القادم بالمحتفي
ما أعلق الفضيّ بالُمذهب
جلالةٌ تسعى إلى أختها
من أفقٍ رحبٍ إلى أرحب
حتى إذا الغوطة ضمّتهما
صفّقت الأركان في يثرب
من مبلغ بَيْرُونَ عن جلّقٍ
تحيّة الأطياب للطيب
وأنها قصرٌ له أخضرٌ
عن قصره الوردي لا يختبي
عيَّدتِ الشام لوفدٍ أتى
من أبعد الأقطار عن يع رب
لكنّه الأقرب من قلبها
والقلب حنّانٌ إلى الأقرب
عدنا إلى فردوس أحلامنا
بذكريات الدار والملعب
ترى بأم العين أوضاعه
وتنقل الأخبار للغيهب
هذا عقيق الروض ذي فضّة
الأنهار هذا ذهبُ السبسب
هنا المراعي كم سرحنا بها

أضحت بلا مرعى ولا ربرب

الدرب قدَّ الغاب في المنحنى

والقصر هدّ الكوخ في المضرب

والخصب في الوادي على غير ما

نعهده في الزمن المجدب

العِلم يغزوه ويحتله

والعلم فتحٌ من فتوح النبي

معاقل الأجناد منبثّة

تقوِّم المعوجّ بالأحدب

وللصناعات رجالاتها

إن غولبت في الفنّ لم تغلب

* * *

الجـلاء(*)

شفيق جبري

حلمٌ على جنبات الشام أم عيدُ؟
لا الهمّ همٌّ ولا التسهيد تسهيدُ
يا يوم أيّارَ والنيران ملهبةٌ
على دمشق تلظّيها جلاميدُ
ذكرى سجونك ما تنفك ماثلةً
لم يمحُ من هولها عيدٌ وتعييدُ
هذي ضحـ اياك في الأيام آبدةٌ
وللضحايا على الأيام تأبيدُ
الطفل في المهد لم تهدأ مضاجعه
مروَّعٌ من لهيب النار مكمودُ
تلفّه أمّه ما بين أضلعها
وموقد النار مطرابٌ وغرّيدُ
فقل لصحبك والأمواج تحملهم :
هل الحضارة تذليل وتعبيد؟

* * *

(*) الشعراء الأعلام في سورية، د. سامي الدهان، ط2، 1968م.

دمشق

أحمد رامي

يا روضةً في ربوع الشامِ يانعةً
ترنَّم الطيرُ فيها وهْوَ نشوانُ
وللغير على ترجيعه نَغَمٌ
من الخرير له ضَرْبٌ وأوزانُ
تمايل الغصنُ فيها وانثنى طرباً
لِما شَجتْهُ تَرانيمٌ وألحانُ
هذه ثِمارِكَ طابت في مغارِسها
وذاك غصنُك يندى وه و فَيْنانُ
أبتْ على كلِّ جانٍ أن يَمُدَّ يداً
إلى جَنَاها وتحتَ الظِّلِّ يقظانُ
يحمي حِماها ويفديها بمهجته
ويقطع الليلَ فيها وهو سهرانُ
يا روضةً بَرَدَى في وَشْيِ بُرْدَتِهِ
يختالُ بين رباها وَهْوَ جَذْلانُ
على حواشيكِ أمجادٌ مخلدةٌ
لها من الذكر تاريخٌ وديوانُ
غنّى الزمان بها تِيْهاً وردَّدها
مِنْ جانب النيل أحبابٌ وخِلاّنُ
رأَوْا من الشام – يحيا الشامُ – رابطةً
لها على العهد أنصارٌ وأعوانُ
طاروا إلينا خِفاقاً يوم مِحنتنا
وأرخصوا الروحَ لا ذلّوا ولا هانوا
وألّفتْ بيننا حريّةٌ كتبتْ
صحيفةً بدمِ الأحرار تزدانُ

يا سامر الحيِّ[*]

بدوي الجبل

يا سامرَ الحيِّ هل تعنيكَ شكوانا
رقَّ الحديدُ وما رقُّوا لبلوانا
خلِّ العِتابَ دموعاً لا غَناءَ بها
وعاتِبِ القومَ أشلاءً ونيرانا
آمنتُ بالحِقدِ يُذكي من عزائمِنا
وأبعَدَ اللهُ إشفاقاً وتَحنانا
ويلَ الشُّعوبِ التي لم تَسْقِ من دمِها
ثاراتِها الحُمْرَ أحقاداً وأضغانا
ثاراتُ يعرُبَ ظمأى في مراقِدِها
تجاوزتها سُقاةُ الحيِّ نسيانا
لا خالدُ الفتحِ يغزو الرُّوم منتصراً
ولا المثنّى على رايات شَيْبانا
أمّا الشآمُ فلم تُبْقِ الخُطُوبُ بها
رَوْحاً أحبَّ من النُّعمى ورَيْحانا
ألمَّ والليلُ قد أرخى ذوائبَهُ
طيفٌ من الشامِ حيّانا فأحيانا
فمن رأى بِنتَ مروانَ انحنتْ تعباً
من السَّلاسلِ يرحمْ بنتَ مروانا
أحنو على جرحها الدامي وأمسحُهُ
عِطراً تطيب به الدنيا وإيمانا

(*) ديوان بدوي الجبل - دار العودة - بيروت - ط 1 - 1978 - ص 80.

أزكى من الطِّيبِ ريحاناً وغاليةً

ما سالَ من دمِ قتلانا وجرحانا

هلْ في الشآمِ وهل في القدسِ والدةٌ

لا تشتكي الثُّكْلَ إعوالاً وإرنانا

تكلَ القبورُ فلو أنّي أُلِمُّ بها

لم تعدُ عيناىَ أحباباً وإخوانا

يُعطي الشهيدُ فلا والله ما شهدتْ

عيني كإحسانِهِ في القومِ إحسانا

وغايةُ الجودِ أن يَسقي الثرى دمَهُ

عندَ الكِفاحِ ويلقى الله ظمآنا

والحقُّ والسيف من طبعٍ ومن نسبٍ

كلاهما يتلقّى الخَطْب عُريانا

* * *

م ا للسفينة لم ترفع مراسيَها

ألمْ تهيِّئ لها الأقدارُ رُبّانا

شُقّي العواصِفَ والظّلماءَ جاريةً

بِاسْمِ الجزيرةِ مَجرانا ومُرسانا

ضُمِّي الأعاريبَ من بَدوٍ ومن حَضَرٍ

إنّي لألمحُ خلفَ الغيمِ طوفانا

يا مَنْ يدلُّ علينا في كتائبِهِ

نَظَارِ تَطْلَعْ على الدنيا سرايانا

* * *

الفلوس(*)

بدوي الجبل

أترعي الكأس أدمعاً ورحيقاً
حقُّ بعض الهموم ألا نُفيقا
سلّم الجمر لي، وعاش بقلبي
أريَحِيَّ اللهيبِ عذباً أنيقا
يا شآمي : يا قبلة الله في الدّنيا
ويا راحها المصفّى العتيقا
ما أدرتُ الكؤوس إلا لتروي
كبدي من هواكَ لا لتذوقا
مزّقيها تغمركِ نوراً وعطراً
لا تَمَلِّي العطورَ والتمزيقا
لَمْلَمَ الفجرُ ذكرياتي فما لَمْ
لَمَ إلا أقاحَها وشقيها
كبريائي فوق النجوم، ولولاها
لَما كنتُ بالنجومِ خليقا
جُلُّ شِعري – أقيه بالروح من
كلِّ هوانٍ – والشعرُ كالعِرضِ يوقى
ما شكوتُ العدوَّ كِبراً ولكنّي
شكوتُ المبرّأ الموثوقا
وأخاً لي سقيتُهُ الودّ صِرفاً
فسقاني من وُدِّهِ الممزوقا
طبعيَ الحبُّ والحنانُ فما أعـ

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية - د. سامي الدهان - ط 2 - 1968 - دار الأنوار – بيروت، ص 291.

رِفُ للمجدِ غيرَ حبّ ي طريقا

وكنوزي – وليس تحرسها الجنّ ُ –

تنادي المحرومَ والممزوقا

لم يضق بالعدوِّ حِلمي وغفرا

ني وأفدي بمقلتَيَّ الصَّديقا

كيف يسمو الإنسان إلا رحيماً

باختلاف الهوى، وإلا شفيقا؟

* * *

لي قبور كنزتُ فيها شبابي

وصبوحي على المُنى و الغَبوقا

يا قبور اللِّداتِ : كل شقيقٍ

حاضن في الثرى أخاه الشقيقا

وسعتْ هذه القبور همومي

كيف تشكو وهْيَ السماواتُ ضيقا

كيف لا تَنْبُتُ الرياحين والشَّوْ

قُ وقلبي على ثراها أريقا

مقلتي يستحمّ في دمعها الطّيْ

فُ وتحنو، فلا يموتُ غ ريقا

ينزل الجرح من فؤادي على الحبْ

بِ ويلقى التدليل والتشويقا

(شامة) الفتح نام (فارسك) النَّجْ

دُ وحقُّ الوفاءِ أن يستفيقا

سبقته أحبابُه للمنايا

فرحمت المجلِّيَ المسبوقا

ونعم، عدتُ للعقيق، ولكن

فارق الأهلُ واللِّداتُ العقي قا

أنا كالطير، ألف صحراءَ لفّتْ

ـهُ مهيضَ الجناحِ، شِلْواً، مَزيقا

مات أيكي ومات وردي فلا تعـ

ـجيل أعنى به ولا تعويقا

غربتي، قد سئمت غربة روحي

ومللتُ التغريبَ والتشريقا

غربتي، غربتي، على النأيِ والقر

ـبِ أراني إلى دجاها مَسوقا

حدثُ عنها غرباً وشرقاً، وطوَّفـ

ـتُ فما اجتزتُ سهمها المرشوقا

(فارس) المجد لم تزغرد عذارى الـ

ـمجدِ إلا انتخى وكان السَّبوقا

عالم يسكب العذوبة في العلـ

ـمِ فتستاف عنبراً َ مسحوقا

وله الطرفة الملحية تغني

عن نقاشٍ، وتُسْكِتُ المِنْطي قا

وبيان تخاله الوشي والأطـ

ـياب شتّى واللؤلؤ المنسوقا

فيه عمق البحار تزخر بالدرِّ

وفيه متارف الموسيقا

وضمير نديان، يسرف في الحـ

ـسِّ فيجزي حتى الخفيَّ الدقيقا

* * *

يا لنسر تقحّم الشمس حتى

ملّ عزَّ الشموس والتحليقا

حق عبئين، م ن سنينَ ومجدٍ

أن يكفّا من شأوِهِ ويعوقا

يهرم النسر فالطريق عِثارٌ

ذكريات الصبا زحمنَ الطريقا

ذكرياتٌ هنّ الكنوز الغوالي

صان فيها الشبابَ حلواً رشيقا

عبّ منها النسر الحبيس فردّتْ

هُ لدنيا الشموس حرّاً طليقا

غمرت قلبه حنيناً وأ شواقاً

ويمناه لؤلؤاً وعقيقا

عالم الذكريات نمنمه الخا

لق حتى يدلّل المخلوقا

هو من أريحية الله ما شئنا

رحيقاً صفواً ومسكاً فتيقا

* * *

حال بيني وبين لقياك دهر

سامني عبئه فكنتُ المطيقا

أنزلتني على (فروق) رزاياه

فحيّا عطر السم اء (فروقا)

ضاق لبنان بي وكان رحيبا

وتنَزّى حقداً وكان رفيقا

قد حمدتُ الجلّى بلبنان لَمّا

كشفت لي اليقين والتلفيقا

قبر (عبد الحميد) أرعى ذماماً

و(رياضُ) في القبر أرعى حقوقا

ما للبنان رحت أسقيه حبّي

وسقاني مرارةً وعقوقا

أنا أغلي ته بلؤلؤ أشعاري

وطوقتُ جيدَه تطويقا

وزرعتُ النجوم في ليل لبنا

ن فرفّ الدجى نديّاً وريقا

ربّ سمراء من شذا الأرز كالأرْ

زِ قواماً مهفهفاً ممشوقا

وجمالاً غالى بزينته اللـ

ـهُ فثنّى وثلّث التدقيقا

وعفافاً ذاد الشفاه وحلّى

للعيون السُّلاف والتحديقا

جُنّ قلب الدجّى بأهدابها حبْ

باً فأغنى جفناً وكحَّلَ موقا

إنّ بيني وبين لبنان عهداً

كهواها معطَّراً مرموقا

* * *

يا قبوراً في الشامِ ، ربّ قبورٍ

أنْزَلَتْها النوى مكاناً سحيقا

هائماتٍ كالنور طارت صباباتي

إليها فما استطعنَ اللُّحوقا

غرّبتنا العُلى قبوراً وأحيا

ءً وعاثت بشملنا تفريقا

تسمع الريح حسن تُصغي حنيناً

من فؤادي على الثرى وشهيقا

ما لقومي غال الحمامُ فريقاً

منهم، والجحود غال فريقا

ظلم الكنز أهله فتمنّى

أن يكون المبدَّدَ المسر وقا

أظمأتني وجوههم حين غابت

فأدرت الذكرى سلافاً وريقا

عهدها بالخلوق عهدٌ قديمٌ

ألفت عزّة المجلّي الخلوقا

يا لداتِ الفتوح نسقى منايانا

ويسقيننا الهوى ترنيقا

بيننا صحبة الإباء، وعزٌّ

أمويٌّ يُطاول العَيُّوقا

وكفاحٌ كعاصفٍ ضجّ في الدنيا

رعوداً هدّارةً وبروقا

* * *

والمروءات كالغرائز في الرّيـ

فِ مِلاحٌ لا تعرف التّزويقا

وعقود من السنين نظمناها

سجوناً وكبرياءً وضيقا

نحنُ كنا الزلزال، نعصف بالشَّرْ

قِ نرجُّ الشعوب حتى تُفيقا

فابتدعنا من الرّؤى واقعَ الم جـ

ـدِ ومن غَمرة الظلام البريقا

نقحمُ الغامض الأشمَّ من الحقّ

ونأبى المُمهَّد المطروقا

* * *

نحن عطر السجون، عطرُ المنايا

نحملُ الجرحَ مطمئنّاً عميقا

نحن كالشمسِ، جرحُها وهجُ الدُّ

نيا غروباً منوَّراً وشَروقا

ما درى الشرقُ قبلن ا سكرة الحقّ

ولا خمرَها ولا الرّاووقا

نحن عشقٌ للغوطتين، براه الـ

ـه حتى يؤلّه المعشوقا

نحن في الكأس نغمة، نحن في النّـ

ـغمة صهباء صُفِّقت تصفيقا

خمرة النور، خمرة العزّ والإيما

ن طابتْ برداً وطابتْ حريقا

يعرف الحق قيمة الجوهر ا لحرّ

رِ ويغلي جديده العتيقا

يُعذر الحرُّ، حين لا يخطئ العز

م وإن كان أخطأ التوفيقا

* * *

يا رئيسي، من أربعين، زحمناها

إباءً مرّاً وبأساً حنيقا

أنتَ نشّأتين على الصبر والعزّ

زِ كما ترهف الحسامَ الذليق

ندوةُ الشام والوزارة ضمّانا

عريقاً يصفي هواه عريقا

وهموم كأنّهنّ الأماني

جمالاً ونشوةً وسُموقا

مترفات ترعرعت في فؤاديْ

نا طابت شمائلاً وعروقا

يرد الخطبُ منك قلباً سرياً

وبياناً عفّاً ووجهاً طليقا

من يعلّ النديّ بعد بالشه

دِ المصفّى، ومن يسدُّ الف توقا

خُطَبٌ بالنديِّ تهدر كالعا

صف والريق لا يبلُّ الحلوقا

أنكرتكَ الحياة بالشيب والسقـ

ـمِ فهيّا للفاركِ التطليقا

حملَ الموت من لداتِك شوقاً

يستحثُّ الخطى وعتباً رقيقا

وكتاباً من الهوى نمّقوه

فأجادوا البيان والتنميقا

وطيوفاً تبرّجت لكى جفنيـ

ـكَ حتى يرضى وحتى تليقا

* * *

غيَّب القبرُ منك شمّاء مجدٍ

وعرة تزحم النجوم سموقا

يتلقّأك (هاشم) في ربى عدنٍ

ويستقبل المشوقُ المشوقا

حي عنّي (سعداً) وقبّل محيّا

كالضحى باهر الستّى مرموقا

واسق (قدري) و(عادلا) و(جميلاً)

من حنيني طيبَ الهوى والرحيقا

و(أبا أسعد) سقته دموعي

و (سليمان) و(النديم) الصدوقا

واشك حزني (لمظهر) و(نجيب)

راع دهر أخاكما فأفيقا

لي حقوقٌ على القبور الغوالي

ويوفّى قبر الكريم الحقوقا

* * *

في دمشق(*)

الشاعر القروي

حتّامَ تحسبُها أضغاثَ أحلامِ
سبِّحْ لربِّكَ وانحرْ، أنتَ في الشّامِ
لم يأذنِ اللهُ يا بوقَ العروبةِ أنْ
تقضي الحياةَ غريباً بين أعجامِ
وكنتَ في أبعدِ الأمصارِ أقربَ منْ
أهلي إليَّ وأخوالي وأعمامي
أضناكَ طُول السُّرى والسّيرِ يا ولدي
فاطرحْ رداءَكَ، وامسحْ جرحَكَ الدامي
هذي عيوني وجنّاتي وفاكهتي
فاملأْ يديْكَ وبرِّدْ قلبَكَ الظّامي
وارتعْ بقلبيَ واسبحْ كالشعاعةِ في
عيني ونَمْ بين أهدابي وأحلامي

* * *

يا آل جِلَّقَ يا أزكى الأصولِ إذا
باهى السُّراةُ بأصلابٍ وأ رحامِ
حسبي بكم شرفاً أنّي على ضِعتي
كأنَّ ملوكَ الأرض خُدّامي
أعيتْ بياني وشكراني عوارفُكُم
يا أكرمَ الناس، بالَغْتُمْ بإكرامي
كم لائمٍ منّي في حبِّكم سَفَهاً
فبدَّل القُرْبُ حُسّاداً بلوَّامِ
لبّيتُ بالفرح المجنونِ دعوتَكمْ

(*) ديوان الشاعر القروي – ط 6 – دمشق 1983م – ص92.

وإخوتي ورفاقي دمعُهُمْ هامي

* * *

يا يومَ جدّدَ فيَّ الخِضْرُ آيتَهُ

لَمّا أطلّتْ على بيروتَ أعلامي

والوحشُ منفغرُ الشِّدقينِ يرصُدُني

والبغيُ أسطولُهُ خلفي وقُدّامي

أعدى عليَّ بظهر الفُلْكِ شِرْذِمَةً

ممّنْ تضرُّوا على فتكٍ وإجرامِ

لم يُجدِهِمْ طولُ إغرائي بصُحبتِهِمْ

فحاولوا حين عِيلَ الصَّبرُ إرغامي

همُّوا بأخذي فثارت كلُّ مُحْصَنَةٍ

وكلُّ حُرٍّ عريضِ الصدرِ همّهامِ

وبتُّ ليلي وعينُ الله تحرُسُني

حتى وضعتُ بأغلى التُّرْبِ أقدامي

في اللاذقيّةِ في شطٍّ يمتُّ على

(بربارتي) بجمالٍ جلّ عن ذامِ

في أرض قوميَ في الدنيا التي احتكرتْ

أقطارُها كلَّ آمالي وآلامي

ما الأرزُ والشامُ إلا توأما وطنٍ

وأمّةٍ بالنجومِ الزُّهْرِ متآمِ

* * *

وسرتُ في موكب الأحرارِ مرتقياً

إلى (صِلِنْفةَ) من سامٍ إلى سامِ

ترى الصَّفا بين خضراءِ الرُّبى انتثرتْ

على بساطٍ من الإستبرقِ النامي

هشّتْ عليها الغصونُ الوارفاتُ كما

هشَّ الرُّعاةُ على قُطعانِ أغنامِ

والحورُ يخفِضُ للسُّمّاقِ هامتَهُ

كما تواضَعَ جبّارٌ لأقزامِ

والريحُ تهمسُ والأفنانُ في قلقٍ

كأنّها عاشقٌ يُصغي لنمّامِ

حتّى بلغنا بها الفيحاءَ فارتعبتْ

قريرةَ العينِ مثلي رغم إسقامي

حيثُ العروبةُ شدّتْ إصْرَ وَحدَتِها

وأسلم الأمرَ ضِرْغامٌ لضِرْغامِ

* * *

أنا العروبةُ لي في كلِّ مملكةٍ

إنجيلُ حبٍّ ولي قرآنُ إنعامِ

سلْ عهدَ شامي وبغدادي وأندلسي

عن عمقِ فلسفتي ، عن عدلِ أحكامي

ما اخْضَوْضَرَ الشرقُ إلا تحتَ أقدامي

وازْهَوْهَرَ الغربُ إلا تحتَ أعلامي

تمشي البطولةُ والسّحرُ الحلالُ معي

فالأرضُ ملعبُ آسادٍ وآرامِ

نقشتُ في الشمسِ طُغْرائي وما بَرِحَتْ

مرسومةً في جبينِ البدرِ أختامي

ما غيّرتْ نكباتُ الدهرِ من شيمي

وإن طوتْ ثنايا التُّربِ آطامي

حطّمتُ أشرسَ ضارٍ في جزيرتِهِ

ما ابتلَّ نعلي ولا دُنِّسَتْ أقدامي

من يبكِ عهدَ الموامى والدُّمى فأنا

والحمدُ لله قد حَطَّمْتُ أصنامي

شغلتُ قل بي بحبِّ المصطفى وغدتْ

عروبتي مَثَّلي الأعلى وإسلامي

آمنتُ بالنصرِ إيمانَ الذي لَمَسَتْ

كفّاهُ، لا خارصٍ بالغيبِ رجّامِ

تأبى العروبةُ أن ننسى الصديقَ لكي

نُرضي العدوَّ، ويأبى دينُها السامي

قميصُ بغدادَ لم تبرح مُزرَّرةً

بعُروةٍ تتح دّى ألفَ مِفْصامِ

ما أقربَ الوحدةَ الكبرى مبخِّرةً

أحلامَ كلِّ شعوبيٍّ وقسّامِ

* * *

سيّانِ بعد التلاقي يا بلاديَ لو

خُلِّدتُ أو حكَمَ الطاغي بإعدامي

أما رجعتُ؟ ألَمْ أنشُقْ هواكِ؟ ألَمْ

ألثِمْ ثَراكِ؟ ألَمْ أُسْمِعْكِ أنغامي؟

أُحسُّ بالراحةِ الكبرى كأنِّيَ قد

طرحتُ في البحرِ عنّي كلَّ آثامي

* * *

يا شام منك ابتدأنا

شفيق الكمالي

يا شام طال النوى حتّى تهيّمني
كونٌ من الشوق ضارٍ في الحشا
حملتُ غيم حنين مسكرٍ بدمي
حتّى إذا مرّ فوق الغوطتَيْنِ همى
تشابكت في ال فضاء الرحب خافقةً
راياتنا وهدى معراجُنا الأمما
نحن الألى حرّر الإنسانَ هديهمُ
ومال في كلِّ أرضٍ هادماً صنما
بعنفوان الهدى هزّت جحافلُنا
صرحَ الطواغيت في الشرقين فانهدما
واليوم نجمان في آفاقنا التمعا
كشُعبتي ذي الفقار انسلّ منتقما
يا شفرتي سيفِ هذي الأمة انتفِضا
فأنتما جذوة العزِّ الذي انصرما
يا أحمدَ المجد يا أعلى بيارقه
يا حافظ العهد يا سوراً حمى قيما
نهضتَ نسراً طويلاتٍ قوادِمُهُ
أزاح عنها بُغَاثَ الطَّيرِ والرُّخَما
أعظِمْ بليثين لم يُخدرهما أجمٌ
تسابقا لعظيم المجد فاتّأما
يا حاملي مشعلِ التاريخ غاظهما
أنَّ الظلام طغى في الأرض فاقتحما

لله عزُّكما، لله عزمكما

لله وحده مسرى أمتي بكما

المجد يا جِلَّقَ الأمجاد ما فطما

ما دام صدرُك ثَراً يُرضع الشمما

والكبرياء بغير الشام ما غُرستْ

والشعر إلا لوجه الشام ما نُظما

أستغفر الله في بغدادَ دوحته

يا توءمين شموخ العزة اقتسما

يا جلق المجد لو وفّى الكلام هوى

إذاً جعلتُ وريدَيْ خافقي كَلِما

للحامل الهمّ لا تثنيه نازلة

من النوازل عن حقٍّ لنا هضما

لجيشك الحرِّ بل جيشي أصولُ به

للشعب شعبي لأزكى العالمين حمى

يا زهو كلِّ شموس العُرْبِ ما سطعت

وغيظ كلِّ إباء العرب ما كظما

عجيبة أنت بدء الدهر مولدها

ولم تزل غضّة والدهر قد هرما

* * *

دمشق

عدنان مردم بك

بلد كأحلام الشباب جِنانه
وأديمه التاريخ للمتأمّلِ
درج القضاء وشبّ في أحضانه
ورمى بيمناه بأفْوَقِ مِنْصَلِ
خلع الزمان عليه ثوبَ مهابةٍ
فغدا يصول من الوقار بجحفلِ
مجدٌ كأنّ الصبح يكمن دونه
يفترّ عن متألّق متهللِ
عَرْفُ النبوة ضاع في طياته
من كلِّ ركنٍ كالحطيم محجّلِ
والوحي يومئ خلف كلِّ ثنيّة
بيدٍ ويرمز بالإشارة من علِ
وترى من المعراج فوقَ أديمه
عظة البُراق وطيف أكرم مرسلِ
ويضيء غابر أمسه حسبٌ له
كالشمس تكشفُ كلّ داجٍ أليلِ
وأكاد أبصر بالخيال حقيقةً
وأرى أميّة في الزمان الأوّلِ
في كل زاوية كتابُ حضارةٍ
ينبيك عن ماضٍ وعن مستقبَلِ
ورسوم ملكٍ من أمية أعربتْ
عن غابرٍ لمسائلٍ بمفصَّلِ
نطقت وما فغرتْ فما لمحدثٍ

بلسانِ حالٍ لم يدعْ لتقوّلِ

كم في الرسوم على عميق سكونها

من ساجعِ حلو الحديث مرتّلِ

وهياكل فوقَ الثرى منثورة

كشتيت أوراق الخريف الممحلِ

لم يُبْق من أعلامها كرُّ البِلى

إلا بقايا هيكلٍ كالهيكلِ

هتك الزمان حجابها فتكشّفتْ

أسرارها عن كلّ ماضٍ أمثلِ

وإخال فجرَ شبابَها وسناءها

ليلاً من الحسرات ليس بمنجلِ

أورثْ وأورثْ في الصدور حزازةً

وشفت وأغرت لوعةً لا تنجلي

وأوابدٌ في الفقر من حُجُبِ البِلى

برقت لعين الزائرين بمشعلِ

تلقى بها عظة الجدود وسيرةً

للغابرين عن الزمان الأول

راحت تحلّق بالسماء قبابها

دون السحائب في جناح الأجدلِ

شاخ الزمان حيالها وشبابُها

أبداً على الأيام لم يتحوّل

طالعت فيها مسهباً عن دابرٍ

ولمست فيها مجملاً عن مقبلِ

وقرأت في صفحاتها ما سطّرتْ

مروان من مجدٍ بحدِّ الفيصل

ورأيت تاريخ الجدود إزاءها

يختال من صلف الصبا بتدلّل

تلك الرسوم وما أجلّ سطورها

للقارئ المتمعِّن المتعقِّلِ

كانت من ال تاريخ أروع صفحة

ورسالة الماضي إلى المستقبلِ

* * *

دمشق

عبد الله يوركي حلاق

ناداكَ صوتٌ من دمشقَ محبّبُ
فاسمع فدقّات القلوب ترحِّبُ
وانزل على بلدٍ يعطّر ذكره
فخرٌ بأنفاس الخلود مطيّبُ
فتَحتْ لك الفيحاء قلب موّلهٍ
حُر، وق لب الحرِّ لا يتقلَّبُ
فانهل من الحب المصفّى إنّها
للحبّ نبع خيِّرٌ لا ينضبُ
رفّت على العانى حمائمُ عطفها
فكأنّها أمٌّ تحنُّ وتحدبُ
ألقُ العروبة في وجوه شبابها
يزهو فيختال الزمان ويطرَبُ
من كل أروعَ لا تلين قناته
لانَ الحديد له ودان المطلب
الشام فى كفّ العروبة صارمٌ
يلقى جموع الظالمين فيضربُ

* * *

دمشق يا جبهة المجد(*)

محمد مهدي الجواهري

شَمَمْتُ تُربَكِ لا زُلفى ولا مَلَقا
وسرت قصدَكِ لا خِبّاً ولا مَذَقا
وما وجدتُ إلى لقياكِ منعطفاً
إلا إليك , ولا ألفيتُ مفترقاً
كنتِ الطريقَ إلى هاوٍ تنازعه
نفسٌ تَسدُّ عليه دونَها الطرقا
وكان قلبي إلى رؤياكِ باصرتي
حتى اتّهمتُ عليك العَين والحَدقا
شَمَمْتُ تُرْبَكِ أستاف الصِّبا مرحاً
والشملَ مؤتلفاً , والعقدَ مؤتلقا
وسرتُ قصدكِ لا كالمشتهي بَلَداً
لكن ك من يتشهّى وَجْهَ من عَشِقا
قالوا : دمشقُ وبغدادٌ، فقلت : هما
فجرٌ على الغدِ من أمسَيْهِما انبثقا
ما تعجبون؟ أمن مَهْدَيْنِ قد جُمعا
أم توأمين على عهديهما اتّفقا؟
أم صامدَيْنِ يَرُبّان المصير معاً
حبّاً ويقتسمان الأمن والفرقا
يهدهدانِ لِس اناً واحداً ودَماً
صِنواً، ومعتقداً حُرّاً ومنطلقا
أقسمتُ بالأمة استوصى بها قدرٌ
خيراً ولاءَمَ منها الخَلقَ والخُلُقا

(*) الأعمال الكاملة، الجواهري، وزارة الثقافة، دمشق، المجلد الرابع.

من قال أن ليس من معنًى للفظتها

بلا دمشقَ وبغدادٍ، فقد صدقا

فلا رعى الله يوماً دسَّ بينهما

وقيعةً، ورعى يومَيْهِما وَ وَقى

يا جِلَّقَ الشامِ والأعوامُ تَجمع لي

سبعاً وسبعين ما التأما ولا افترقا

ما كان لي منهما يومانِ عشتُهما

إلا وبالسُّؤْرِ من كأسيهما شَرِقا

يعاودان نِفاراً كلَّما اصطحبا

وينسيان هوًى كانا قد اغْتَبَقا

ورُحتُ أطفو على موجيهما قَلِقاً

أكاد أحسد مرءاً فيهما غَرِقا

يا لَلشباب يغار الحلمِ من شِرَةٍ

به وتحسُدُ فيه الحِنكة النَّزَقا

وللبساطة ما أغلى كنائزها

قارونُ يُرخِصُ فيها التِّبْرَ والوَرِقا

تلُمُّ كأسي ومن أهوى، وخاطرتي

وما تجيشُ وبيتَ الشِّعْرِ والورَقا

أيام نعكفُ بالحسنى على سَمَرٍ

نساقط اللغوَ فيه كيفما اتّفقا

إذْ مِسكةُ الرَّبَواتِ الخُضْرِ توسِعُنا

بِما تفتَّق من أنسامها عَبَقا

إذْ تُسْقِطُ الهامةُ الإصباحَ يُرْقِصُنا

وقاسَيُونُ .. علينا ينشر الشَّفقا

نرعى الأصيلَ لداجي الليلِ يُسْلِمُنا

ومن كُوًى خَفِراتٍ نرقُبُ الغَسَقا

ومن كُوًى خَفِراتٍ تستجدُّ رؤى

نشوانةً عن رؤًى مملولةً نَسَقا

آهٍ على الحلو في مرٍّ نغُصُّ به

تقطّرا عسلاً في السمِّ واصطفقا

يا جِلَّقَ الشامِ إنّا خلقةٌ عَجَبٌ

لم يدرِ ما سرَّها إلاّ الذي خلقا

إنا لنخنُ قُ في الأضلاعِ غُرْبَتَنا

وإن تنَزّلتْ على أحداقنا حُرَقا

معذَّبون وجنّاتُ النعيمِ بنا

وعاطشونَ ونُمري الجونةَ الغَدَقا

وزاحفون بأجسامٍ نوابضها

تستامُ ذروة عِلِّيينَ مرتفقا

نُغني الحياة ونستغني كأنَّ لنا

رأْدَ الضحى غلّةً والصبحَ وال فَلَقا

يا جِلَّقَ الشام كم من مطمحٍ خلسٍ

للمرء في غفلةٍ من دهره سرقا

وآخِرٍ سلَّ من أنياب ذي لَبَدٍ

وآخِرٍ تحت أقدامٍ له سُحقا

دامٍ صراع أخي شَجْوٍ وما خَلَقا

من الهموم تُعنّيه وما اختلقا

يسعى إلى مطمحٍ حانت ولادته

في حين يحمل شِلْو اً مطمحاً شنقا

حرّانَ حيرانَ أقوى في مصامدة

على السكوت وخيرٌ منه إن نطقا

كذاك كلَّ الذين استُودعوا مُثُلاً

كذاك كلُّ الذين استُرهِنوا غَلَقا

كذاك كان وما ينفكُّ ذو كلفٍ

بمن تعبّد في الدنيا أو انعتقا

دمشق عشتُك ريعاناً وخافقةً

ولِمَّ ة والعيونَ السودَ والأرقا

وها أنا ويدي جِلدٌ وسالفتي

ثلجٌ ووجهي عظمٌ كاد أو عُرِقا

وأنت لم تبرحي في النفس عالقةً

دمي ولحميَ والأنفاسَ والرَّمقا

تموِّجين ظلال الذكريات هوًى

وتسعدين الأسى والهمَّ والقلقا

فخراً دمشقُ تقاسمنا مراهقةً

واليوم نقتسم الآلام والرَّهَقا

دمشق صبراً على البلوى فكم صُهرتْ

سبائك الذهب الغالي فما احترقا

على المدى وعروق الطُّهرِ يرفدها

نسغ الحياة بديلاً عن دم هرقا

وعند أعوادك الخضراء بهجتها

كالسِّنديانة مهما اسّاقطتْ ورقا

وغابُ خفّان زئارٌ به أس دٌ

غضبان يدفع عن أشباله حَنِقا

يا حافظَ العهد يا طلاّع ألويةٍ

تناهبت حلباتِ العزِّ مستَبَقَا

يا رابط الجأش يا ثبتاً بمستَعِرٍ

تآخيا في شبوب منه والتصقا

تزلزلت تحته أرضٌ فما صُعِقا

وازّخرفتْ حوله دنيا فما انزلقا

ألقى بزقّومها الموبى لمرتخصٍ

وعاف للمتهاوي وِرْدَها الطرقا

يا حاضن الفكر خلاقاً كأنَّ به

من نسج زهرِ الربى موشيّة أنقا

لك القوافي وما وشَّت مطارفها

تُهدى وما استنَّ مهديها وما اعتنقا

من العراقِ، من الأرض التي ائتلقت

والشام ألفاً فما ملاّ ولا افترقا

يا جبهة المجد ألقتْ كربةٌ ظُلَلاً

من الشجوب عليها زدنها ألقا

مرّت يدٌ برّة فوق العروق بها

تميط عنها الأسى والجهدَ والعرقا

كمثل أرضك تمتدُّ السماء بها

مهمومة ترقب الفجر الذي انطلقا

أسيانةً كم تلقّت بين أذرعها

نجماً هوى إثرَ نجمٍ صاعدٍ خفق ا

مصارع تستقي الفادين تربتها

في كل شبرٍ مشى فادٍ بها ورقا

يا بنت أم البلايا عانقت نسباً

أغلى وأكرم في الأنساب معتنقا

راحت تمزّق كل الهازئين بها

وحولك اسّاقطت مهزوزةً مُزَقا

كنتِ الكَفُوءَ لها إذ كنتِ معتركاً

لِسُوحِهَا فرقاً جرارةً فِرقا

تيمور خفّ وهولاكو وقد سَحَقا

كل الدُّنى وعلى أسوارك انسحقا

ما كنتِ أعتى ولا أقوى سوى دُفَعٍ

من الرجولات كانت عندها لُعَقا

هنا جوارك ذو زمزامةٍ لجبٍ

أمس استشاط فصبّت نارُهُ صعقا

على اليهود وعاد اليوم من خَوَرٍ

يمدّ طوعاً إلى جزّ اره العُنُقا

حبُّ الحياة تغشّاه فكان له

صَدَاقُها الذلَّ والإسفافَ والخَرَقا

تخالف الحكم فرداً لا ضميرَ له

إذا استدارَ ولا ناهٍ إذا مَرَقا

ومجمعين تواصَوا بينهم شَرَعاً

على الحفاظ وساوَوْا أمرهم طَبَقا

دمشقُ كم في حنايا الصدر من غُصَصٍ

لو لم نَدِفها بِمُرّ الصبر لاختنقا

صُبَّتْ ثلاثونَ لم تَدْرِ الصَّباحَ بها

سودُ الليالي ولَمْ تكشف بها أُفُقا

هنّا عليها فشدّتنا بسلسلةٍ

من الكوارث لم تستكمل الحَلَقا

جاعت لقحطٍ مُفاداةٍ بها وَعدتْ

واستنجدتْ صاعها والمئزَرَ الخَلِقَ ا

ونحن نُطعمها حلو البيان رؤىً

والفخر متّشحاً والوعدَ مرتزقا

شَمَمْتُ تُرْبَكِ لا زُلفى ولا مَلقا

وسرت قصدكِ لا خِبّاً ولا مَذِقا

* * *

القصيدة الدمشقية(*)

نزار قباني

هذي دمشق وهذي الكأسُ والراحُ
إني أحبُّ .. وبعض الحبِّ ذَبّاحُ
أنا الدمشقي .. لو شرّحتُمُ جسدي
لسال منه عناقيدٌ وتفاح
ولو فتحتم شراييني بمُديتكم
سمعتمُ في دمي أصواتَ من راحوا
زراعة القلب تشفي بعض مَن عشقوا
وما لقلبي – إذا أحببتُ – جرّاح
ألا تزال بخير دارُ فاطمة
فالنهد مستنفرٌ .. والكحل صدّاح
إنَّ النبيذ هنا نارٌ معطرة
فهل عيون نساء الشام , أقداح؟
مآذن الشام تبكي إذ تعانقني
وللمآذن كالأشجارِ أرواح
للياسمين حقوق في منازلنا
وقطة البيت تغفو حيث ترتاح
طاحونة البن جزء من طفولتنا
فكيف ننسى؟ وعطر الهالِ فواحُ
هذا مكان (أبي المعتزّ) منتظر
ووجه (فائزة) حلوٌ ولمّاحُ
هنا جذوري، هنا قلبي، هنا لغتي

(*) مختارات من شعر نزار قباني، اختيار وتقديم العماد مصطفى طلاس، دار طلاس، دمشق، ط1، 2000، ص648.

فكيف أُوضح؟ هل في العشق إيضاح؟

كم من دمشقية ، باعت أساورها

حتى أغازلها .. والشعر مفتاحُ

أتيت يا شجر الصفصاف معتذراً

فهل تسامح هيفاءٌ .. ووضاح؟

خمسون عاماً وأجزائي مبعثرة

فوق المحيط , وما في الأفق ، مصباح

تقاذفتني بحارٌ لا ضفاف لها

وطاردتني شياطينٌ .. وأشباح

أقاتل القبح في شعري ، وفي أدبي

حتى يفتّح نوّار .. وأقداح

ما للعروبة تبدو مثل أرملة

أليس في كتب التاريخ أفراح؟

والشعر .. ماذا سيبقى من أصالته؟

إذا ت ولاه نصّاب .. ومداح؟

وكيف نكتب والأقفال في فمنا؟

وكل ثانية يأتيك سفاح؟

حملت شعري على ظهري .. فأتعبني

ماذا من الشعر يبقى حين يرتاح؟

* * *

من مفكرة عاشق دمشقي(*)

نزار قباني

فرشتُ فوقَ ثراكِ الطاهرِ الهُدُبا

فيا دمشقُ ...لماذا نبد أ العتبا؟

حبيبتي أنتِ ...فاستلقي كأغنيةٍ

على ذراعي، ولا تستوضحي السَّببا

أنتِ النساءُ جميعاً ..ما منِ امرأةٍ

أحببتُ بعدك ..إلا خِلتُها كذبا

يا شامُ، إنَّ جراحي لا ضفافَ لها

فمسّحي عن جبيني الحزنَ والتّعبا

وأرجعيني إلى أسوارِ مدرستي

وأرجعي الحبرَ والطبشورَ والكُتُبا

تلكَ الزواريبُ كم كنزٍ طمرتُ بها

وكم تركتُ عليها ذكرياتِ صبا

وكم رسمتُ على جدرانِها صوراً

وكم كسرتُ على أدراجها لُعبا

أتيتُ من رحمِ الأحزانِ يا وطني

أقبّلُ الأرضَ والأبوابَ والشُّهبا

حبّي هنا ..وحبيبات ي وُلدنَ هنا

فمن يعيدُ ليَ العمرَ الذي ذهبا؟

أنا قبيلةُ عشّاقٍ بكاملها

ومن دموعي سقيتُ البحرَ والسّحُبا

(*) الأعمال السياسية الكاملة، الجزء الثالث، منشورات نزار قباني - بيروت، ص417.

فكلُّ صفصافةٍ حَوّلتُها امرأةً

وكلُّ مئذنةٍ رصّعتُها ذهبا

هذي البساتينُ كانت بينَ أمتعتي

لما ارتحلتُ عن الفيحاءِ مغتربا

فلا قميصَ من القمصانِ ألبسهُ

إلا وجدتُ على خيطانهِ عنبا

كم مبحرٍ .. وهمومُ البرِّ تسكنهُ

وهاربٍ من قضاءِ الحبِّ ما هربا

يا شامُ، أينَ هما عينا معاويةٍ

وأينَ من زَحَموا بالمنكبِ الشُّهبا

فلا خيولُ بني حمدانَ راقصةٌ

زُهواً ... ولا المتنبّي مالئٌ حَلبا

وقبرُ خالدَ في حمصٍ نلامسهُ

فيرجفُ القبرُ من زوّارهِ غضبا

يا رُبَّ حيٍّ .. رخامُ القبرِ مسكنهُ

ورُبَّ مَيْتٍ .. على أقدامهِ انتصبا

يا ابنَ الوليدِ .. ألا سيفٌ تؤجّرهُ؟

فكلُّ أسيافنا قد أصبحت خَشَبا

دمشقُ، يا كنزَ أحلامي ومروحتي

أشكو العروبةَ أم أشكو لكِ العربا؟

أدمتْ سياطُ حزيرانٍ ظهورهُمُ

فأدمنوها .. وباسوا كفَّ من ضَرَبا

وطالعوا كتبَ التاريخِ .. واقتنعوا

متى البنادقُ كانت تسكنُ الكتبا؟

سقَوْا فلسطينَ أحلاماً ملوّنةً

وأطعموها سخيفَ القولِ والخطبا

عاشوا على هامشِ الأحداثِ، ما انتفضوا

للأرض منهوبة، والعِرضِ مغتصَبا

وخلّفوا القدسَ فوقَ الوحلِ عاريةً

تبيحُ عزّةَ نهديها لمن رغِبا

هل من فلسطينَ مكتوبٌ يطمئنني

عمّن كتبتُ إليهِ .. وهوَ ما كتبا؟

وعن بساتينَ ليمونٍ، وعن حلمٍ

يزدادُ عنّي ابتعاداً .. كلّما اقتربا

أيا فلسطينُ .. من يهديكِ زنبقةً؟

ومن يعيدُ لكِ البيتَ الذي خَرِبا؟

شردتِ فوقَ رصيفِ الدمعِ باحثةً

عن الحنانِ، ولكن ما وجدتِ أبا

تلفّتي ... تجدينا في مَباذلنا

من يعبدُ الجنسَ، أو من يعبدُ الذّهبا

فواحدٌ أعمتِ النُّعمى بصيرتَهُ

فللخنى والغواني كلُّ ما كَسَبا

وواحدٌ ببحارِ النِّفْطِ مغتسلٌ

قد ضاقَ بالخيشِ ثوباً فارتدى القَصَبا

وواحدٌ نرجسيٌّ في سريرتهِ

وواحدٌ من دمِ الأحرارِ قد شربا

إن كانَ من ذبحوا التاريخَ هم نسبي

على العصورِ .. فإنّي أرفضُ النسبا

يا شامُ، يا شامُ، ما في جعبتي طربٌ

أستغفرُ الشعرَ أن يستجديَ الطربا

ماذا سأقرأُ من شعري ومن أدبي؟

حوافرُ الخيلِ داست عندنا الأدبا

وحاصرتنا . . .. وآذنتا . . فلا قلمٌ

قالَ الحقيقةَ إلا اغتيلَ أو صُلبا

يا من يعاتبُ مذبوحاً على دمهِ

ونزفِ شريانهِ، ما أسهلَ العتبا

من جرّبَ الكيَّ لا ينسى مواجعهُ

ومن رأى السُّمَّ لا يشقى كمن شَرِبا

حبلُ الفجيعةِ ملتفٌّ على عنقي

من ذا يعاتبُ مشنوقاً إذا اضطربا؟

الشعرُ ليسَ حماماتٍ نطيّرها

نحوَ السماءِ، ولا نايا .. وريحَ صَبا

لكنّهُ غضبٌ طالت أظافرهُ

ما أجبنَ الشعرَ إن لم يركبِ الغضبا

* * *

ترصيعٌ بالذهب على سيف دمشقي(*)

نزار قباني

أتراها تحبني ميسون ..؟
أم توهمت والنساء ظنون؟
كم رسولٍ أرسلته لأبيها
ذبحته تحت النقاب العيون
يا ابنة العمّ ... والهوى أمويٌ
كيف أخفي الهوى و كيف أبين؟
كم قُتلنا في عشقنا وبُعثنا
بعد موتٍ وما علينا يمينُ
ما وقوفي على الديار وقلبي
كجبيني قد طرّزته الغضونُ
لا ظباء الحمى رددن سلامي
والخلاخيل ما لهنّ رنين
يا زماناً في الصالحية سمحاً
أين مني الغِوى وأين الفتونُ؟
يا سريري .. ويا شراشف أمي
يا عصافير .. يا شذا، يا غصون
يا زواريب حارتي .. خبئيني
بين جفنيك فالزمان ضنينُ
واعذريني إن بدوتُ حزيناً
إنَّ وجه المحبِّ وجهٌ حزينُ
ها هي الشام بعد فرقة دهرٍ
أنهُرُ سبعةٌ .. وحورٌ عين

(*) الأعمال السياسية الكاملة، الجزء الثالث، منشورات نزار قباني - بيروت، ص429.

النوافير في البيوت كلام

والعناقيد سكّرٌ مطحون

والسماء الزرقاء دفتر شعرِ

والحروف التي عليه سنونو

هل دمشق كما يقولون كانت

حين في الليل فكّر الياسمين؟

آه يا شام ..كيف أشرح ما بي

وأنا فيكِ دائماً مسكونُ

سامحيني إن لم أكاشفك بالعشق

فأحلى ما في الهوى التضمينُ

نحن أسرى معاً وفي قفص الحبّ

يعاني السجّان والمسجونُ

يا دمشق التي تقمّصت فيها

هل أنا السَّرو أم أنا الشَّربين

أم أنا الفلّ في أباريق أمي

أم أنا العشب والسحاب الهتونُ

أم أنا القطة الأثيرة في الدّار

تلبّي إذا دعاها الحنينُ

يا دمشق التي تفشى شذا ها

تحت جلدي كأنه الزَّيْزَفونُ

سامحيني إذا اضطربت فإني

لا مقفّى حبي ولا موزونُ

وازرعيني تحت الضفائر مشطاً

فأريك الغرام كيف يكونُ

قادم من مدائن الريح وحدي

فاحتضَِنِّي كالطفل يا قاسيونُ

اِحتضنِّي خمسين ألفاً وألفاً

فمع الضمّ لا يج وز السكونُ

أهي مجنونة بشوقي إليها

هذه الشام، أم أنا المجنون؟

حاملٌ حبّها ثلاثين قرناً

فوق ظهري وما هناك معينُ

كلما جئتها أردّ ديوني

للجميلات حاصرتني الديونُ

إن تخلت كل المقادير عني

فبعيني حبيبتي أستعينُ

يا إلهي جعلت عشقي بحراً

أحرامٌ على البحار السكونُ

يا إلهي هل الكتابة جرحٌ

ليس يشفى، أم ماردٌ ملعونُ؟

كم أعاني في الشعر موتاً جميلاً

وتعاني من الرياح السَّفينُ

جاء تشرين يا حبيبة عمري

أحسنُ الوقت للهوى تشرينُ

ولنا موعدٌ على جبل الشيخ

كمِ الثلجُ دافئٌ وحنو نُ

لم أعانقكِ من زمن طويلٍ

لم أحدِّثْكِ والحديث شجونُ

لم أغازلك والتغزل بعضي

للهوى دينه وللسيف دين

سنوات سبع من الحزن مرّت

مات فيها الصفصاف والزَّيْزَفون

سنوات فيها استقلت من الحبّ

وجفّت على شفاهي اللحون

سنوات سبع بها اغتالنا الي أس

وعلم الكلام واليانسون

فانقسمنا قبائلاً وشعوباً

واستُبيح الحمى وضاع العرين

كيف أهواك حين حَوْلَ سريري

يتمشى اليهود والطاعون

كيف أهواك والحمى مستباحٌ

هل من السهل أن يحب السجينُ

لا تقولي : نسيتَ، لم أنسَ شيئاً

كيف تنسى أهدابهنّ الجفونُ؟

غير أنَّ الهوى يصير ذليلاً

كلما ذلّ للرجال جبينُ

شام يا شام يا أميرة حبي

كيف ينسى غرامَه المجنونُ؟

أوقدي النار فالحديث طويل

وطويل لمن نحب الحنين

شمس غرناطة أطلّت علينا

بعد يأسٍ وزغردتْ ميسلونُ

جاء تشرين إنَّ وجهك أحلى

بكثير، ما سرّه تشرينُ؟

كيف صارت سنابل القمح أعلى

كيف صارت عيناك بيت السنونو

إنّ أرض الجولان تشبه عينيـ

ـك فماءٌ يجري ولوزٌ وتين

كل جرح فيها حديقة ورد

وربيع ولؤلؤٌ مكنون

يا دمشق البسي دموعي سواراً

وتمنَّي فكل صعب يهونُ

وضعي طرحة العروس لأجلي

إنَّ مهر المناضلات ثمين

رضي الله والرسول عن الشا

م فنصرٌ آتٍ وفتحٌ مبينُ

مزقي يا دمشق خارطة الذلّ

وقولي للدهر : كُنْ، فيكونُ

استردت أيامها بك بدرٌ

واستعادت شبابها حطينُ

بك عزّت قريش بعد هوانٍ

وتلاقت قبائل وبطونُ

إنَّ عمرو بن العاص يزحف للشر

ق وللغرب يزحف المأمون

كتب الله أن تكوني دمشقاً

بك يبدا وينتهي التكوينُ

لا خيارٌ أن يصبح البحر بحراً

أوَ يختارُ صوته الحَسُّونُ؟

ذاك عمر السيوف .. لا سيف إلا

دائنٌ يا حبيبتي أو مدينُ

هزم الروم بعد سبعِ عجافٍ

وتعافى وُجداننا المطعونُ

وقتلنا العنقاء في جبل الشيـ

ـخ وألقى أضراسه التتين

صدق السيف وعدَه يا بلادي

فالسياسات كلّها أفيون

صدق السيف حاكماً وحكيماً

وحده السيف، يا دمشقُ، اليقينُ

اسحبي الذيل يا قنيطرة المجـ

ـد وكحِّلْ جفنيك يا حَ رَمونُ

سبقت ظلّها خيول هشامٍ

وأفاقت من نومها السِكّينُ

علّمينا فقهَ العروبة يا شا

م فأنتِ البيان والتبيين

علّمينا الأفعالَ .. قد ذبحتنا

أحرف الجرّ والكلام العجينُ

علّمينا قراءة البرق والرّعـ

ـد فنصف اللغات وحل وطينُ

علمينا التفكيرَ لا نصرَ يُرجى

حينما الشعب كلّه سردينُ

إنّ أقصى ما يغضب الله فكرٌ

دجّنوه وكاتبٌ عِنِّينُ

وطني يا قصيدة النار والور

د تغنّت بما صنعت القرون

إنّ نهر التاريخ ينبع في الشا

م أيلغي التاريخَ طِرْخٌ هجينُ

نحن عكّا ونحن كَرْمِلُ حيفا

وجبال الجليل واللّطرون

كل ليمونةٍ ستنجب طِفلاً

ومحالٌ أن ينتهي الليمون

شام يا شام غيّري قدرَ الشمـ

ـس وقولي للدهر : كُنْ، فيكونُ

* * *

ماذا تفعل بي دمشق؟(*)

نزار قباني

-1-

ينطلق صوتي، هذه المرة، من دمشق .
ينطلق من بيت أمي وأبي .
في الشام، تتغيّر جغرافيَّة جسدي .
تصبح كريات دمي خضراء .
وأبجديّتي خضرا ء .
في الشام، ينبت لفمي فمٌ جديدْ
وينبت لصوتي صوتٌ جديدْ
وتصبح أصابعي،
قبيلةً من الأصابعْ .

-2-

أعود إلى دمشقْ
ممتطياً صهوة سحابهْ
ممتطياً أجمل حصانَيْنِ في الدنيا
حصانِ العشقْ .
وحصانِ الشِّعرْ . .
أعود بعد ستين عاماً
لأبحث عن حبل مشيمتي ،
وعن الحلاّق الدمشقيِّ الذي خَتنني ،
وعن القابلة التي رمتني في طَسْتٍ تحت السريرْ

(*) الأعمال دمشق نزار قباني، قصائد لنزار قبّاني، اختيار : صباح قبّاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1985، ص 59 .

وقبضَتْ من أبي ليرةً ذهبية ،

وخرجتْ من بيتنا

في ذلك اليوم من شهر آذار عام 1923

ويداها ملطّختان بدم القصيدهْ .

-3-

أعود إلى الرِّحِمِ الذي تشكّلتُ فيه . .

وإلى الكتابِ الأولِ الذي قرأتُ فيه . .

وإلى المرأةِ الأولى التي علّمتني

جغرافيَّةَ الحبِّ . .

وجغرافيَّةَ النساء . .

-4-

أعود . .

بعدما تناثرتْ أجزائي في كل القاراتْ

وتناثر سُعالي في كلِّ الفنادقْ

فبعد شراشف أمِّي المعطَّرة بصابون الغارْ

لم أجدْ سريراً أنام عليه . .

وبعد عَروسة الزيتِ والزعتر . .

التي كانت تلفُّها لي . .

لم تعدْ تُعجبني أيُّ عروس في الدنيا. .وبعد مربَّى السفرجلِ

الذي كانت تصنعه بيديها

لم أعد متحمِّساً لإفطار الصباحْ . .

وبعد شراب التوت الذي كانت تعصرهُ

لم يعد يُسكرني أيُّ نبيذْ. . .

-5-

أدخل صحنَ الجامع الأمويّ

أسلِّم على كلِّ من فيه

زاويةً . . زاويهْ . .

بلاطةً . . بلاطهْ . .

حمامةً . . حمامهْ . .

أتجوَّل في بساتين الخطِّ الكوفيّ

وأقطف أزهاراً جميلةً من كلام الله . .

وأسمع بعينيَّ صوت الفسيفساء . .

وموسيقى مسابح العقيقْ . .

تأخذني حالةٌ من التجلّي والانخطافْ ،

فأصعد درجات أوَّلِ مئذنة تصادفني

منادياً: «حيَّ على الياسَمينْ »

« حيَّ على الياسَمينْ »

-6-

عائدٌ إليكم . .

وأنا مضرَّجٌ بأمطار حنيني

عائدٌ... لأملأ جيوبي

بالقِضامة، والجانَرِكْ، واللوز الأخضرْ

عائدٌ إلى محارتي .

عائدٌ إلى سرير ولادتي .

فلا نوافيرَ فرسَايْ

عوَّضتني عن (مقهى النُّوفَرَهْ) . .

ولا سوقُ الهالِ في باريس

عوَّضني عن (سوق الجمعهْ) . .

ولا قصرُ باكنغهام في لندنْ

عوَّضني عن (قصر العظمْ) . .

ولا حمائم ساحة (سان ماركو) في فينيسا

أكثرُ بَركة من حمائم الجامع الأمويّ

ولا قبرُ نابليون في الأنفاليدْ

أكثر جلالاً من قبر صلاح الدين الأيوبي . .

-7-

أتجوَّل في حارات دمشق الضيِّقهْ . .

تستيقظ العيون العسلية، خلف الشبابيكْ

وتسلِّم عليّ . .

تلبس النجومُ أساورها الذهبيهْ . .

وتسلِّم عليّ . .

تخرج لي القططُ الشاميةُ النَّظيفهْ

التي وُلدت معنا . .

وراهقتْ معنا . .

وتزوَّجتْ معنا . .

لتسلِّم عليّ . .

-8-

أتغلغل في (سوق البُزُوريّهْ) .

مبحراً في سحب البهارْ

وغمائم القرنفلِ

والقِرفةِ . .

واليانسونْ . .

أتوضأ بماء الورد مرّةً . .

وبماء العشقِ مرات . .

وأنسى – وأنا في سوق العطارينْ –

جميعَ مستحضرات (نينا ريتشي)..

و (كُوكُوشانيلْ) . .

ماذا تفعل بي دمشقْ؟؟

كيف تغيِّر ثقافتي، وذوقي الجماليّ؟

فيُنسيني رنين طاسات (عِرْقِ السُّوسْ)

كونشرتو البيانُو لِرَحْما نينوفْ..

كيف تغيِّرني بساتين الشامْ؟

فأصبح أوَّلَ عازفٍ في الدنيا

يقود أوركسترا

من شجر الصفصاف!!

-9-

جئتكم . .

من تاريخ الوردة الدمشقيهْ . .

التي تختصر تاريخ العِطْر . .

ومن ذاكرة المتنبّي . .

التي تختصر تاريخ الشِّعرْ . .

جئتكم . .

من أزهار النّارَنْجِ . .

والأضاليا . .

والنَّرْجِسِ . .

والشابِّ الظريفْ . .

التي علمتني أوَّل الرسمْ . .

جئتكمْ . .

من ضِحكة النساء الشامياتْ

التي علَّمتني أوَّلَ الموسيقى . .

وأوَّل المراهقهْ . .

ومن مزاريب حارتنا . .

التي علَّمتني أوَّلَ البكاءْ . .

ومن سجادة صلاة أمّي

التي علَّمتني

أوَّلَ الطريق إلى الله . . .

-10-

أفتح جوارير الذاكرهْ. .

واحداً . . واحداً . .

أتذكّر أبي. .

خارجاً من معمله في (زقاق معاويهْ)

أتذكّر عربات الخيلْ . .

وبائعي الصّبّارهْ . .

ومقاهي (الربوة)

التي تكاد – بعد بطحة العرق الخامسة–

أن تسقط في النهرْ . .

أتذكَّر المناشف الملوَّنهْ . .

وهي ترقص على باب (حمام الخياطينْ)

كأنها تحتفل بعيدها القوميّ .

أتذكّر البيوتَ الدمشقيَّهْ . .

بمقابض أبوابها النحاسيَّهْ . .

وسقوفها المطرَّزة بالقيشاني

وباحاتها الجوّانيَّهْ . .

التي تذكِّركَ بأوصاف الجنَّه. . . .

-11-

البيتُ الدِّمشقيّ

خارجٌ على نص الفنِّ المعماريّ . .

هندسةُ البيوت عندنا . .

تقوم على أساسٍ عاطفيّ

فكلُّ بيتٍ.. يسند خاصرة البيت الآخرْ

وكل شُرفهْ . .

تمدُّ يدها للشرفة المقابلهْ . .

البيوت الدمشقيَّةُ بيوتٌ عاشقهْ . .

فهي تسلِّم على بعضها صباحاً . .

وتتبادل الزياراتِ . .

- في السرِّ - ليلاً . . . .

-12-

عندما كنت دبلوماسياً في بريطانيا

قبلَ ثلاثين عاماً

كانت أمي ترسل لي في مطلع الربيعْ

في داخل كلِّ رسالهْ . .

حُزمة (طَرْخُونْ) . . .

وعندما ارتاب الإنجليز في رسائلي

أخذوها إلى المختبرْ . .

ووضعوها تحت أشعة الليزرْ

وأحالوها إلى سكوتلانديارد . .

وخُبراء المتفجراتْ . .

وعندما تعبوا مني .. ومن (طَرْخُوني) . .

سألوني: قل لنا بحقِّ الله . . .

ما اسم هذه العشبة السحريَّة التي دوّختنا؟

هل هي تعويذة؟

أم هي دواء؟

أم هي شيفرة سريَّهْ؟

وماذا يقابلها باللغة الإنجليزية؟

قلت لهم: صعبٌ أن أشرح لكم الأمرْ . .

فالطَّرْخُونُ لغة تتكلّمها بساتين الشام فقطْ . .

وهو عُشبتنا المقدَّسهْ . .

وبلاغتنا المعطَّرَهْ . .

ولو عرف شاعركم العظيم شكسبير (الطَّرْخُونْ)

لكانت مسرحيّاته أفضلْ . .

وباختصارْ . .

إنَّ أمّي امرأة طيبةٌ جدّاً.. وتحبُّني جدّاً . .

وعندما كانت تشتاق لي . .

كانت ترسل لي باقة (طَرْخُونْ) . .

(فالطَّرْخُونُ) عندها هو المعادل العاطفي . .

لكلمة (يا حبيبي) . . .

وعندما لم يفهم الإنجليز حرفاً واحداً من مرافعتي

الشعريهْ . .

أعادوا لي (طَرْخُونِي)... وأغلقوا محضر التحقيقْ. . .

-13-

من (خان أسعد باشا)

يخرج أبو خليل القبّاني . .

بقُنْبلوزِهِ الدامسكو . . .

وعمامته المقصَّبهْ . . .

وعينيه المسكونتين بالأسئلهْ . . .

كعيني (هامْلِتْ) . . .

يحاول أن يقدِّم مسرحاً طليعيّاً

فيطالبونه بخيمة قَرَهْ كُوز . .

يحاول أن يقدم نصّاً من شكسبيرْ

فيسألونه عن أخبار الزِّيرْ . . .

يحاول، أن يجد صوتاً نسائياً واحداً . .

يغني معهُ . .

(يا مال الشام) . . .

فيُخرطِشُونَ بواريدهم العثمانيَّهْ . .

ويطلقون النارَ على كل شجرة وردْ . . .

تحترف الغناء. . .

يحاول أن يجد امرأةً واحدهْ . . .

تردِّد وراءهُ :

(يا طَيْرهْ طيري يا حمامهْ) . .

فيستلُّون سكاكينهم . .

ويذبحون كلَّ سُلالات الحمامْ . .

وكلَّ سلالات النساء . . .

بعد مئة عامْ . . .

اعتذرتْ دمشقُ لأبي خليلٍ القبَّاني . .

وشيَّدتْ مسرحاً جميلاً باسمه .

-14-

ألبِسُ جُبَّةَ محيي الدينِ ابنِ عربيّ

وأهبطُ من قمَّة جبل قاسيونْ

حاملاً لأطفال المدينهْ. . .

خَوْخاً . .

ورمّاناً . .

وحلاوةً سمسميَّهْ . .

ولنسائها . .

أطواق الفيروز . .

وقصائد الحبّ . .

أدخلُ .

في نفقٍ طويلٍ من العصافيرْ

والمنثورْ . .

والخُبَّيْزهْ . .

والياسمين العراتليْ . .

أدخلُ في أسئلة العِطْر . .

تضيع مني حقيبتي المدرسيّه . .

والسَّفَرْطاسُ النحاسيّ . .

الذي كنت أحمل فيه طعامي . .

والخرزةُ الزرقاء . .

التي كانت تعلِّقها أمّي في صدري .

فيا أهلَ الشامْ. .

من وجدني منكم . . فليرُدَّني إلى (أم المعتزّ) . .

وثوابه عند الله . . .

أنا عصفوركم الأخضر . . يا أهل الشامْ . .

فمن وجدني منكم . . فليطعمني حبّة قمحْ . . .

أنا وردتكم الدمشقيَّةُ . . يا أهل الشامْ . .

فمن وجدني منكم فليضعني في أول مزهريهْ . .

أنا شاعركم المجنون . . يا أهل الشامْ . .

فمن رآني منكم . . فليلتقط لي صورة تذكاريَّهْ . .

قبل أن أُشفى من جنوني الجميلْ . .

أنا قمركم المشرَّد . . يا أهل الشامْ . .

فمن رآني منكم . .

فليتبرعْ لي بفراش . . وبطانية صوفْ . .

لأنَّني لم أنَمْ منذ قرونْ . . .

* * *

طريق دمشق(*)

محمود درويش

من الأزرق ابتدأ البحر
هذا النهار يعود من الأبيض السابق
الآن جئتَ من الأحمرِ اللاحقْ..
اغتسلي يا دمشقُ بلوني
ليولدَ في الزمن العربي نهار
أحاصركم: قاتلاً أو قتيل
وأسألكم.. شاهداً أو شهيد
متى تُفرجون عن النهر. حتى أعود إلى الماء أزرق
أخضر
أحمر
أصفرْ
أو أيَّ لونٍ يحدِّده النهر
إنّي خرجتُ من الصيفِ والسيف
إنّي خرجتُ من المهدِ واللحد
نامتْ خيولي على شجرِ الذكريات
ونمتُ على وَتَرِ المعجزات
ارتدتني يداك نشيداً إذا أنزلوه على جبل، كان سورة «ينتصرون»
دمشق ارتدتني يداكِ. دمشق ارتديتُ يديك
كأنَّ الخريطة صوت يفرِّخ في الصخر
نادى وحركني
ثم نادى.. وفجّرني
ثم نادى.. وقطرّني كالرخام المذاب
ونادى

(*) لماذا تركتُ الحصان وحيداً، محمود درويش، رياض الريّس، ط3، 2001م.

كأنَّ الخريطة أنثى مقدَّسة فجّرتني بِكارتها. فانفجرت

دفاعاً عن السرِّ والصخر

كوني دمشق

فلا يعبرون!

من البرتقاليِّ يبتدئُ البرتقال

ومن صمتِها يبدأ الأمس

أو يولد القبر

يا أيّها المستحيلُ يسمّونك الشام

أفتح جرحي لتبتدئ الشمس. ما اسمي؟ دمشق

وكنت وحيداً

ومثلي كان وحيداً هو المستحيل.

أنا ساعة الصفر دقّتْ

فشَقَّتْ

خلايا الفراغ على سرج هذا الحصان

المحاصرِ بين المياه

وبين المياه

أنا ساعة الصفرِ

جئت أقول:

أحاصرهم قاتلاً أو قتيلْ

أعدّ لهم استطعت . . وينشق في جثتي قمر المرحلة

وأمتشق المِقْصَلَه

أحاصرهم قاتلاً أو قتيلْ

وأنسى الخلافةَ في السِّفْرِ العربي الطويل

إلى القمحِ والقدسِ والمستحيلْ

يؤخرني خنجران:

العدوّ

وعورة طفل صغير تسمونه

بَرَدَى

وسمّيتُهُ مبتدأ

وأخبرته أنّني قاتلٌ أو قتيلْ

منَ الأسود ابتدأ الأحمر. ابتدأ الدم

هذا أنا هذه جثتي

أي مرحلة تعبر الآن بيني وبيني

أنا الفرق بينهما

همزة الوصل بينهما

قُبلة السيف بينهما

طعنة الورد بينهما

آه ما أصغر الأرض!

ما أكبر الجرح

مروا

لتتسع النقطة، النطفة، الفارق،

الشارع، الساحل، الأرض،

ما أكبر الأرض!

ما أصغر الجرح

هذا طريق الشام.. وهذا هديل الحمام

وهذا أنا.. هذه جثتي

والتحمنا

فمرّوا ..

خذوها إلى الحرب كي أنهيَ الحرب بيني وبيني

خذوها.. أحرقوها بأعدائها

أنزلوها على جبلٍ غيمةً أو كتاباً

ومروا

ليتسع الفرق بيني وبين اتّهامي

طريق دمشق

دمشق الطريق

ومفترق الرسل الحائرين أمام الرمادي

إني أغادر أحجاركم – ليس مايو جداراً

أغادر أحجاركم وأسير

وراء دمي في طريق دمشق

أحارب نفسي.. وأعداءها

ويسألني المتعبون، أو المارة الحائرون عن اسمي

فأجهله..

اسألوا عشبة في طريق دمشق!

وأمشي غريباً

وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي

فأقول: أفتّش فوق طريق دمشق

وأمشي غريباً

ويسألني الحكماء المملون عن زمني

فأشير حجر أخضر في طريق دمشق

وأمشي غريباً

ويسألني الخارجون من الدير عن لغتي

فأعدُّ ضلوعي وأخطئ

إني تهجَّيْتُ هذي الحروفَ فكيف أركّبها؟

دال. ميم. شين. قاف

فقالوا: عرفنا – دمشق!

ابتسمت. شكوت دمشق إلى الشام

كيف محوت ألوف الوجوه

وما زال وجهك واحد!

لماذا انحنيت لدفن الضحايا

وما زال صدرك صاعد

وأمشي وراء دمي وأطيع دليلي

وأمشي وراء دمي نحو مشنقتي

هذه مهنتي يا دمشق

من الموت تبتدئين. وكنت تنامين في قاع صمتي ولا تسمعين ..

وأعددت لي لغة من رخام وبرق.

وأمشي إلى بردى. آه مستغرقاً فيه أو خائفاً منه

إنَّ المسافة بين الشجاعة والخوف

حلم

تجسّد في مشنقه

آه، ما أوسع القبلة الضيقة!

وأرّخني خنجران:

العدو

ونهر يعيش على معمل

هذه جثتي، وأنا

أفقٌ ينحني فوقكم

أو حذاء على الباب يسرقه النهر

أقصد

عورة طفل صغير يسمّونه

بَرَدَى

وسمَّيته مبتدأ

وأخبرته أنَّني قاتلٌ أو قتيل.

تقلّدني العائدات من الندم الأبيض

الذاهبات إلى الأخضر الغامض

الواقفات على لحظة الياسمين

دمشق! انتظرناك كي تخرجي منك

كي نلتقي مرةً خارج المعجزات

انتظرناك..

والوقت نام على الوقت

والحبّ جاء، فجئنا إلى الحرب

نغسل أجنحة الطير بين أصابعك الذهبيّة

يا امرأةً لونها الزبد العربي الحزين .

دمشق الندى والدماء

دمشق الندى

دمشق الزمان.

دمشق العرب !

تقلّدني العائدات من النّدم الأبيض

الذاهبات إلى الأخضر الغامض

الواقفات على ذبذبات الغضب

ويحملك الجند فوق سواعدهم

يسقطون على قدميك كواكب

كوني دمشق التي يحلمون بها

فيكون العرب

قلت شيئا، وأكمله يوم موتي وعيدي

من الأزرق ابتدأ البحر

والشام تبدأ مني – أموت

ويبدأ في طرق الشام أسبوع خلقي

وما أبعد الشام، ما أبعد الشام عني!

وسيف المسافة حزَّ خطاياي . . حزَّ وريدي

فقرّبني خنجران :

العدو وموتي

وصرت أرى الشام . . ما أقرب الشام مني

ويشنقني في الوصول وريدي..

وقد قلت شيئاً . . وأكمله

كاهن الاعترافات ساومني يا دمشق

وقال: دمشق بعيدهْ

فكسّرت كرسيه وصنعت من الخشب الجبلي صليبي

أراك على بعد قلبين في جسد واحد

وكرت أطل عليك خلال المسامير

كنت العقيدة

وكنت شهيد العقيدهْ

وكنت تنامين داخل جرحي

وفي ساعة الصفر – تمّ اللقاء

وبين اللقاء وبين الوداع

أودّع موتي . . وأرحل

ما أجمل الشام ، لولا الشام، وفي الشام

يبتدئ الزمن العربي وينطفئ الزمن الهمجيّ

أنا ساعة الصفر دقّتْ

وشقتْ

خلايا الفراغ على سطح هذا الحصانِ الكبيرِ الكبيرْ

الحصان المحاصر بين المياه

وبين المياه

أعدّ لهم ما استطعت . .

وينشقّ في جثتي قمر . . ساعة الصفر دقّتْ،

وفي جثتي حبّة أنبتتْ للسنابل

سبع سنابل، في كلِّ سنبلة ألف سنبلة . .

هذه جثتي . . أفرغوها من القمح ثم خذوها إلى الحرب

كي أنهي الحرب بيني وبيني

خذوها أحرقوها بأعدائها

خذوها ليتّسع الفرق بيني وبين اتهامي

وأمشي أمامي

ويولد في الزمن العربي . . نهار

قرأت مجدك

سعيد عقل

قرأتُ مجدَكِ في قلبي وفي الكُتُبِ
شَآمُ ، ما المجدُ؟ أنتِ ال مجدُ لم يَغِبِ
إذا على بَرَدَى حَوْرٌ تأهَّلَ بي
أحسسْتُ أعلامَكِ اختالتْ على الشّهُبِ
أيّامَ عاصِمَةُ الدّنيا هُنَا رَبطَتْ
بَعَزمَتَي أُمَويٍّ عَزْمَةَ الحِقَبِ
نادتْ فَهَبَّ إلى هِندٍ وأندلُسٍ
كَغوطةٍ مِن شَبا المُرَّانِ والقُضُبِ
خلَّ تْ على قِمَمِ التّارِيخِ طابَعَها
وعلّمَتْ أنّهُ بالفتْكَةِ العَجَبِ
وإنّما الشعرُ شرطُ الفتكةِ ارتُجلَت
على العُلا وَتمَلَّتْ رِفعَةَ القِبَبِ
هذي لها النصرُ لا أبهى، فلا هُزمت
وإن تهَدّدها دَهرٌ منَ النُوَبِ
والانتصارُ لعَالي الرّأسِ مُنْحَتِمٌ
حُلواً كما المَوتُ ، جئتَ المَوتَ لَم تَهَبِ
شآمُ أرضَ الشّهاماتِ التي اصْطَبَغَتْ
بِعَنْدَمِيٍّ تَمَتْهُ الشّمْسُ مُنسَكِبِ
ذكّرتكِ الخمسَ والعشرينَ ثورتها
ذاكَ النفيرُ إلى الدّنيا أنِ اضْطَرِبي
فُكّي الحديدَ يواعِدْكِ الأُلى جَبَهوا
لدولةِ السّيفِ سَيفاً في القِتالِ رَبِي

وخلَّفُوا قَاسَيُوناً للأنامِ غَداً

طُوراً كَسِيناءَ ذاتِ اللّوحِ والغلَبِ

شآمُ ...لفظُ الشآمِ اهتَزَّ في خَلَدي

كما اهتزازُ غصونِ الأرزِ في الهدُبِ

أنزلتُ حُبَّكِ في آهِي فشدَّدَها

طَرِبْتُ آهاً، فكُنتِ المجدَ في طَرَبِي

* * *

سائليني يا شام

سعيد عقل

سائليني حين عطّرت السلامْ
كيف غار الورد واعتلَّ الخزامْ
وأنا لو رحت استرضي الشذا
لانثنى لُبنان عطراً يا شآمْ
ضفّتاك ارتاحتا في خاطري
واحتمى طيرك في الظنِّ وحامْ
نقلة في الزهر أم عندلة
أنت في الصحو و تصفيق يمام؟
أنا إن أودعت شعري سكرة
كنت أنت السكب أو كنت المدام

* * *

رد لي من صبوتي يا بردى
ذكريات زُرْنَ في لَيّا قوام
ليلة ارتاح لنا الحورُ فلا
غصن إلا شج أو مستهام
وتهاوى الضوء إلا نجمة
سهرت تطفي أواماً بأوام
سائليني من دلال قبلة
يعصر الدهر بها كأس غرام
وارتمت يكسر من هدب لها
مسهب الطول حياءً واحتشام
وجعت صفصافة من حسنها

وعرى أغصانها الخضر سقامْ

فحسرت الشعر عن جبهتها

أسأل الحسن : أفي الأرض أقام؟

وتأنيت أ ملّي خاطري

قبل أن يحجبها ضم الهيام

أو لخوفٍ بي على ثانيةٍ

سوف تمضي فمنى العمر حطام

لم تدع لي شقوة أحيا بها

ورنت يملأ عينيها ابتسام

أومأت لي فامّحى كل سنى

مرهقٍ غير فم عذبٍ الملام

وإذا قبّلتنا فرّ إلى

عالم أبها وسكنى في منام

تق ف النجمة عن دورتها

عند ثغرين وينهار الظلام

* * *

طوّفي بي ذكرياتي طلقة

واغنمي أطياب ذيّاك الوئام

وامرحي بين دمشق وحمى

تلكم الصفحة من رفعة هام

خطها صيدٌ أباةٌ غصبوا

حقهم . والحقُّ غصبٌ أو حمام

غالبوا السيف عريقاً حدّه

فانثنى الس يف وفي الحدّ احترام

هذه الغوطة أوفى تربة

بهم أم جبل النبكِ القدام

كم فتى بات فراشاً سرجه

نام والكف على سير اللجام

وفتاة خلعت أسوارها

تشتري حلياً بها غير كهام

وشجاع لم يسعه عمره

راح يحيا سعة الموت الزؤام

أسد الثورة وسدتم ثرى

هو من مشرقنا الأرض الحرام

طيّبته من جنوب نفحة

عبقت من ضارب في الغيم سام

جبل يجمع في فتيانه

دعة السفح إلى عز السنام

الترابات به أهل وفا

ومحك يزن الحر الهمام

وله أهلون إن ينتسبوا

يشمخ الرمح ويعتزّ الحسام

قل لذاك النسر في معقله :

واحد نحن إذا الشام تضام

اسأل الأبطال : هل تُنسى لنا

رفقة الأخذ بأغراض جسام؟

ولظى الحرمان من أهلٍ ومن

غفوة قمراء في تلك الخيام؟

والتقاء الموت ضنّاً بعلى

وأحايين اشتياقاً لاقتحام

حرمات بيننا أنقى سنى

من ذرى (الحرمون) أو طهر الغمام

قد س قينا بالدم المجد معاً

ومعاً خضنا المجالات الكرام

وعهدت السيف في سلطانه

ناصع الأفرند لم يذممه ذام

شيمة الليث انثنى مدخراً

صولة الضاري ليوم ذي جهام

ليت نبقي لفلسطين القنا

وهي جرح في صميم الحق دام

* * *

فلك الأمجاد ردي ما انطوى

واقحمي الأمواج حين البحر طام

يلبس الدهر قيّاداً للذي

يتحداه سهاماً بسهام

جدّدي ما وسع الهدم فما

بسوى الهدم لبانين اعتصام

والفي المر بسطحي المنى

ليس يُرضي النسرَ ما يُرضي الهوام

العبوديات مثنى عندنا

في الحمى غازٍ وفي العقل قتام

تلكم دالت وهذي لم تزل

سوسة تبرى فتفتت العظام

آه من لي بغدٍّ أدنى إلى

سلسل الحلم وأبهى من مرام

تطأ الشام به مختالة

ساحة المجهول أو شأو الأمام

فالحضارات هنا منبتها

شدّت الدنيا إلى هذي الأكام

ظمئ الشرق فيا شام اسكبي

واملأي الكأس له حت ى الجمام

أهلك التاريخ من فضلتهم

ذكرهم في عروة الدهر وسام

أمويون فإن ضقت بهم

ألحقوا الدنيا ببستان هشام

أيّ رأي أنت ما نشأته

توءم السيف لفصلٍ واحتكام

تمتم المجد وناغى حلمه

فوق زنديك إذا المجد غلام

وهو حلم لو دروا أين انتهى

لأتتك الأرض حجّاً لمقام

يا طريقاً من دمشق لم يزل

لفتة الدنيا وإجلال العظام

بين تخميك تجلى للنهى

مطلع الحق وتعليم السلام

فإذا جدل عن مهرته

شاول وانكب في ذاك الرغام

رحت تلقى مصرع العقل إذا

كان للعقل مع الحق اصطدام

* * *

شام يا دارة نيس ان سقت

مرجك الخيرات في الغيث السجام

عشت يغنى منك شوقي كلما

زرت والزورة شوق مستدام

فكأني شارب ليس يعي

خوقة القائل : خذ آخر جام

وتؤاسيني إذا حملتها

منك شيئاً مشرقيات النسام

لك قال الحسن مذ همّت به

ذات صبح ونضى عنه اللثام :

من أنا؟ أغنية لم تكتمل

رصدت إلاّ إذا كنت الختام

وأقاحي نمت في دمَّرٍ

أول الدهر وماتت في الفطام

فإذا عادت حياة طفقت

من حنين تجد الدنيا شآم

أنا لست الغرد الفرد إذا

قال طاب الجرح في شجو الحمام

أنا حسبي أنني من جبل

هو بين الله والأرض كلام

قمم كالشمس في قسمتها

تلد النور وتعطيه الأنام

* * *

في شارع أبي رمانة(*)

سليمان العيسى

مدّ المساء على الرصيـ
ـف جناحه شيئاً فشيّا
ومشى رهيفَ الخطو فو
قَ المرج متّئداً حيِيّا
ويداه هذي للنجو
م ترشها عن جانبيّا
فأكادُ أشعر بالسما
ءِ تعلّقت في راحتيّا
وتطوف هذي بالعبيـ
ـر يموج رفّافاً شهيا
فأحِسّ أنفاس الإلـ
ـه وروحه في جانحيّا

* * *

هذي دمشق مدينتي الـ
ـخضراءُ ترفل بالطيوبِ
والشارع الوضّاء نهـ
ـرٌ من أساطير الغيوبِ
نثرت على شطّيه جنّـ
ـاتٌ معطرةُ الدروبِ
فإذا خطوتَ ففوق رنّـ

(*) الأعمال الكاملة، سليمان العيسى، ج3، ص 136.

ـة ضحكةٍ وصدى مجيبِ

الشرفة البيضاء قد

سَكِرَت على لحنٍ طروبِ

لم تدرِ أيّ الشاربيـ

ـنَ يُعِلُّها وبأيِّ كوبِ

* * *

أمدينتي هذي التي

غرت بهفّات الحريرِ

أمدينتي هذي التي

تغف ي على وهج العبيرِ

لا لا أنا ابن الحائط الـ

ـمهدومِ والكوخِ الحقيرِ

اِبنُ الطريق أجُرُّ منـ

ـه طينه حتّى حصيري

اِبْنُ الظلام يردّ قر

يتنا مساءً كالقبورِ

لا لا أنا ابنُ الشعب يحـ

ـمل منكبي عبء العصورِ

* * *

هذي المباهج والحلى

يغمرن حولي كلّ عابر

هذا الجمال المستثيـ

ـرُ وهذه الفتن السوافر

هذي الجنائن ينسكبـ

ـن سناً وعطراً في المحاجر

هذي القصور تكاد بيـ

ن الضوء تشربها النواظر

ليست سوى غصص تمزّ

قُ بالمرارة صدرَ شاعر

لججُ الدموع الحمر ما

كان ت لتحجبها الستائر

* * *

دمشق

أدونيس

أومأتِ
جئتُ إليكِ حنجرةً يتيمه
أقتاتُ، أنسج صوتها الشفقيّ من لغة رجيمهْ
تتبطن الدنيا وتخلع باب حكمتها القديمهْ
وأتيتُ، لي نجمٌ ولي نار كليمه:
يا نجمُ، رُدَّ لي المجوسَ
فالكونُ من ورقٍ وريحٍ
ودمشقُ سرّة ياسمين
حُبلى،
تمدّ أريجها
سقفاً
وتنتظر الجنين .

* * *

دمشق

مظفّر النّوّاب

دمشق عدت بلا حزني ولا فرحي

يقودني شبح مضنى إلى شبحِ

ضيعت منك طريقاً كنت أعرفه

سكران مغمضة عيني من الطفح

أصابح الليل مصلوباً على جسدٍ

لم أدرِ أيَّ خفايا حسن هـ قدحي

أسى حرير شآميّ يداعبه

إبريق خمر عراقيّ شج نضحِ

دفعت روحي على روحي فباعدني

نهدانِ عن جنة في موسم لَقِحِ

أذكى فضائحه لثماً فيطردني

شداً إليه غريراً غير مفتضح

تستقرئ الغيبَ كفي في تحسّسه

كريزه فوق ماء ريِّقٍ مَرِحِ

يا لانحدارٍ بطيءٍ أخمصٍ رخصٍ

ولارتفاعٍ سريعٍ طافحٍ طمح

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه؟ !

نهدٌ عليَّ ونهدٌ كان في سَرَحِ

هذا يطاعنني حتى أموت له

وذاك يمسح خدّي بالهوى السمح

كأن زهرة لوزٍ في تفتحها

تمجّ في قبضتي بالعنبر النفح

دمشق عدتُ وقلبي كله قرح

وأين كان غريب غير ذي قرح

هذي الحقيبة عادتْ وحدها وطني

ورحلة العمر عادت وحدها قدحي

أصابح الليل مصلوباً على أمل

ألاّ أموتَ غريباً ميتة الشبح

يا جنة مرّ فيها اللّه ذات ضحى

لعل فيها نواسينا على قدحي

فحار زيتونها ما بين خضرته

وخضرةِ الليل والكاساتِ والملحِ

لقد سكرت من الدنيا ويوقظني

ما كان من عنبٍ فيها ومن بلحِ

تَهِرّ خلفي كلاب الليل ناهشةً

أطرافَ ثوبي على عظم من المنح

ضحكتُ منها ومني فهي يقتلها

سُعارها وأنا يغتالني فرحي

* * *

تحيّة الشام

د. عبد الله العثيمين

في مهجتي لربوعِ الشامِ تَحنانُ
صانتْ حُمَيّاهُ أزمانٌ وأزمانُ
وأمطرَتْهُ من التاريخ غاديةٌ
فاشتدّ أصلاً وماستْ منه أغصانُ
أتيتُ أحمله حرفاً تسطِّرُهُ
مشاعرٌ وأحاسيسٌ ووجدانُ
إن لَمْ يَرُقْ لهُواة الشعر قافيةٌ
أو نَدَّ في سبكه لحنٌ وأوزانُ
فللهوى في عيون العاشقين رؤًى
هي البيانُ إذا ما عزَّ تِبْيانُ
وجئتُ يحملني عبر المدى قبسٌ
معطَّرٌ بالشَّذا الفوّاحِ فتّانُ
على جناحَيْنِ ميمونَيْنِ حفَّهُما
من مهبطِ الوحي والتَّنْزيل إيمانُ
ومن عشيّاتِ نجدٍ مستط ابُ صبا
ريّاه شيحٌ وقَيْصُومٌ ورَيْحانُ

* * *

أتيتُ من وطني شوقاً إلى وطني
وأرضُ يَعْرُبَ لي دُورٌ وأوطانُ
عشقتُ وحدتَها منذ الصِّبا ورستْ
لها بقلبي أساساتٌ وأركانُ
وعشتُ والدربُ تاريخٌ صحائفُهُ

عزٌّ وأسطُرُهُ للمجدِ تيجانُ

يفو ح من سيرة الهادي وشِرعتِهِ

عطراً نسائمهُ عدلٌ وإحسانُ

* * *

دمشقُ يا ألق التاريخ هاأنذا

قدمتُ إذ لوّحتْ لي منكِ أردانُ

قدمتُ ألثِمُ مجداً شاده نُجُبٌ

بهم تشرّف مروانٌ وسفيانُ

وأجتلي فيلقاً يمضي فتتبعُهُ

فيالقٌ شاقها للنصر ميدانُ

أنتِ الحضارةُ إشعاعاً ومنطلَقاً

وأنتِ منبتُ أمجادٍ وبستانُ

قد قال فيك أمير الشعر قولتَهُ

وفي حِماكِ على ما قال بُرهانُ :

« لولا دمشقُ لَما كانت طليطلةٌ

ولا زهتْ ببني العبّاس بغدانُ »

* * *

أحمد رامي: 1892-1981

- ولد في حي السيدة زينب بالقاهرة، تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام 1914.
- أُرسل في بعثة دراسية إلى باريس عام 1922 لدراسة اللغات الشرقية وقد ساعدته دراسته للغة الفارسية في ترجمة رباعيات الخيام بعد ذلك.
- على الرغم من أن شعر رامي قد ابتدئ بالفصحى إلا أنه انتقل للعامية بعد ذلك.
- عُرف رامي واشتهر من خلال قصائده الجميلة، والتي تغنت بالعديد منها أم كلثوم.
- له "ديوان رامي" في أربعة أجزاء ويرجع إليه الفضل في ترجمة رباعيات الخيام من الفارسية إلى العربية، هذا بالإضافة إلى تأليفه ما يقرب من مائتي أغنية.
- عانى من حالة اكتئاب شديدة عقب وفاة أم كلثوم، فاعتزل الحياة والناس، وتوفي في 1981.

1 -أحمد شوقي: 1868-1932

- مولده ووفاته بالقاهرة.
- تعلم في بعض المدارس الحكومية في تابع دراسته للحقوق في مونبلييه بفرنسا.
- عالج أكثر فنون الشعر، كما تناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والعالم الإسلامي.
- جمع شعره في "الشوقيات"، وهو في أربعة أجزاء.

2 -أحمد صافي النجفي: 1897-1977.

- ولد في النجف بالعراق، وتلقى تعليماً دينياً في شبابه.
- وصل إلى دمشق عام 1930 فطابت له الإقامة فيها.
- ترجم رباعيات الخيام وطبعت في دمشق عام 1931.
- ترك عدداً من الدواوين الشعرية التي جمعت في أعماله الكاملة بعد وفاته.

3 -أدونيس: أحمد علي سعيد 1930 –

- ولد في قرية قصابين، محافظة اللاذقية، ودرس فيها حتى المرحلة الثانوية، ثم تابع دراسته في جامعة دمشق، ومن ثم حصل على الدكتوراه من جامعة القديس يوسف، في بيروت.
- واحد من رواد الحداثة الشعرية الأوائل . أسهم في تأسيس مجلة "شعر" الذائعة الصيت، ومجلة مواقف، في بيروت.
- يزاوج بين الإبداع الشعري والتنظير النقدي والبحث الفكري . وقد أصدر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية والأبحاث والدراسات الفكرية والأدبية.

– صدرت آثاره الشعرية عن دار العودة في بيروت منذ مطلع السبعينيات، [ثم أعيد إصدارها مرات . وما تزال مجموعاته الشعرية تتوالى بالصدور تباعاً.

4 -أنور العطّار: 1908 – 1972

– ولد في دمشق، وتلقّى تعليمه الأول في بعلبك، ثم تخرّج في الجامعة السورية، قسم اللغة العربية وآدابها.

– عمل في حقل التدريس، في كلٍّ من سورية والعراق والسعودية.

– أصدر ديوانه الأول "ظلال الأيام" سنة 1948م.

5 -إيليا أبو ماضي 1889 – 1958

– أجبره الفقر أن يترك دراسته بعيد الابتدائية، فغادر لبنان إلى مصر ليعمل في تجارة التبغ.

– هناك برزت اهتماماته الأدبية وأصدر أول دواوينه عام 1911.

– هاجر عام 1912 إلى أمريكا الشمالية.

– أسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الرابطة القلمية.

– له ديوان مطبوع.

6 -البحتري: 821 – 898

– هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي.

– ولد في منبج إلى الشمال الشرقي من حلب. وظهرت موهبته الشعرية منذ صغره.

– خلف ديواناً ضخماً، أكثر ما فيه في المديح وأقله في الرثاء والهجاء.

– كان مصوراً بارعاً، ومن أشهر قصائده تلك التي يصف فيها إيوان كسرى والربيع.

7 -بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي: ... – 779هـ

– ولد في دمشق وانتقل إلى حلب ثم مصر.

– عاد يتنقل في بلاد الشام، وله مجموعة من المؤلفات.

8 -بدوي الجبل: محمد سليمان الأحمد: 1903 – 1981

– ولد في قرية ديفة، محافظة اللاذقية، ودرس علومه الأولى في مدينة حماة، ثم في مكتب عنبر بدمشق، ثم دخل كلية الحقوق بالجامعة السورية.

- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- عمل في الحقل السياسي فتر ة طويلة من الزمن، فشارك في ثورة الشيخ صالح العلي، فانتخب نائباً في البرلمان، وعيّن وزيراً لمرتين، ثم عاش في المنفى بقية حياته تقريباً.
- توفي في دمشق.
- صدر ديوانه عن دار العودة في بيروت سنة 1978م.

9 -بشارة عبد الله الخوري «الأخطل الصغير»: 1885 - 1968

- ولد في بيروت وفيها توفي.
- تلقى تعليمه الأولي في الكتاب، ثم أكمل في مدرسة الحكمة والفرير وغيرهما من مدارس ذلك العهد.
- أنشأ عام 1908 جريدة البرق، واستمرت في الصدور حتى 1968.
- تأثر بحركات التجديد في الشعر العربي المعاصر ويمتاز شعره بالغنائية الرقيقة والكلمة المختارة بعن اية فائقة.
- صدر له عدد من الدواوين الشعرية.
- في حفل تكريمه بقاعة الأونيسكو ببيروت سنة 1961 أطلق عليه لقب أمير الشعراء.
- كان قد تسلم مسئولية نقابة الصحافة في العام 1928.
- أنشأ حزباً سياسياً عرف باسم حزب الشبيبة اللبنانية.
- غنى له محمد عبد الوهاب ووديع الصافي وفيروز وفريد الأطرش.

10 - جورج صيدح: 1893 - 1978

- ولد في دمشق، وتعلم فيها، ثم هاجر إلى فرنسا عام 1927، ومنها إلى فنزويلا
- صدر ديوانه الأول "النوافل" عام 1947 في بوينس آيرس، ثم توالت دواوينه.
- صدر ديوانه "صيدح" عام 1972-1973 في مجلدين اثنين، كما صدر كتابه "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" عام 1956 في القاهرة.

11 - حسان بن ثابت: ... - 674م

- شاعر النبي، عاش في المدينة المنورة.
- له ديوان مطبوع.

12 - خليل مردم بك: 1895 - 1959

- ولد في دمشق، وتعلّم فيها. ودرّس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية بدمشق.
- أسّس جمعية الرابطة الأدبية مع بعض الأدباء في دمشق سنة 1921م، وانتخب رئيساً لها.
- عمل في الحقل السياسي، فعيّن وزيراً عدّة مرّات.
- انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق بعد وفاة رئيسه الأول محمد كرد علي، واستمرّ فيه حتى وفاته.
- أصدر عدداً من الدراسات الأدبية والتراثية، وحقّق مجموعة من الدواوين الشعرية.
- صدر ديوانه في مجلّدين اثنين عن مجمع اللغة العربية بعد وفاته.

13 - خليل مطران: 1871-1949

- ولد في بعلبك وتعلم بالمدرسة البطريركية ببيروت وسكن مصر وفي القاهرة توفي.
- تولى تحرير جريدة "الأهرام" بضع سنين، ثم أنشأ "المجلة المصرية" و"الجوائب المصرية".
- صنّف وترجم عدداً من الكتب في الاقتصاد والأدب والتاريخ.
- لقّب بشاعر القطرين، له ديوان مطبوع في أربعة أجزاء.

14 - خير الدين الزركلي: 1893 - 1976

- ولد في دمشق، ودرس الابتدائية فيها. ثم تابع دراسته الثانوية في بيروت.
- عمل في الصحافة، وأصدر جريدة "المفيد".
- تنقّل في عدّة بلدان عربية بسبب الاحتلال الفرنسي، وعمل في الحقل السياسي والسلك الدبلوماسي في الأردن والسعودية؛ حيث عيّن رئيساً لديوان رئاسة الحكومة في الأردن، كما عيّن سفيراً للسعودية في المغرب.
- استقرّ في القاهرة بعد أن تقاعد، وفيها توفّي.
- صدرت أعماله الشعريةِ الكاملة في بيروت عن مؤسسة الرسالة، كما صدرت موسوعته الشهيرة "الأعلام" عن دار العلم للملايين في بيروت، في ثمانية مجلدات.

15 رشيد سليم الخوري، الشاعر القروي: 1887 - 1984

- ولد في منطقة البربارة الشمالية بلبنان.
- هاجر إلى أميركا الجنوبية في العام 1913.
- يعدّ من أبرز شعراء المهجر. أجاد في الشعر الغنائي.
- له مجموعة من الدواوين.

16 - سعيد عقل: 1912-

- من أبرز الشعراء اللبنانيين المعاصرين.
- ولد في زحلة بلبنان وعمل في التعليم والصحافة.
- صدر له عدد من الدواوين الشعرية.

17 - سليمان العيسى: 1921 -

- ولد في قرية النعيرية، في لواء إس كندرون، حيث تلقى تعليمه الأول، ثم نزح إلى حلب بعد سلخ اللواء . ثم حصل على إجازة في اللغة العربية من دار المعلمين العالية ببغداد . وعاد إلى سورية مدرساً ثم موجهاً أول للغة العربية.
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- صدرت أعماله الشعرية الكاملة في مجلدين ضخمين، يحت ويان أشعاره منذ عام 1952، كما صدر له "الديوان الضاحك".
- انصرف إلى الكتابة الشعرية والمسرحية للأطفال، منذ بداية السبعينيات.
- يعيش حالياً في دمشق بعد أن اغترب زمناً طويلاً في اليمن.

18 - شفيق جبري: 1898 - 1980

- ولد في دمشق، ودرس في بيروت حتى حصوله على الثانوية . ثم انتقل مع أهله إلى يافا ليعيش فيها فترة وجيزة.
- عاد إلى دمشق لينشر شعره ومقالاته.
- عيّن رئيساً لديوان المعارف، ثم أستاذاً ومديراً لكلّيّة الآداب في الجامعة السورية.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- له الكثير من المؤلّفات الأدبية.
- له ديوان وحيد بعنوان "نوح العندليب".

19 - شفيق بن عبد الجبار قدوري "الكمالي": 1930 - 1985.

- ولد في البو كمال وانتقل منذ الصغر إلى بغداد، واختار لنفسه مع أخيه عبد اللطيف لقب (الكمالي) نسبة إلى بلدة البوكمال التي ولد فيها.
- حصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة بغداد وماجستير من جامعة القاهرة.

– اختير نائباً لرئيس اتحاد الأدباء في العراق، و كان رئيس الاتحاد وقتذاك محمد مهدي الجواهري.
– تسلم منصب الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب.
– يكتب القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، وله النشيد الوطني العراقي.
– طبع له عدد من المجموعات الشعرية، بالإضافة إلى أطروحته في الماجستير "الشعر عند البدو".
– قتل في بغداد.

20 – الصنوبري: ... – 334هـ
– هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي.
– نشأ بحلب وقضى أكثر حياته فيها.
– يمتاز بشعر الطبيعة الذي برع فيه.
– له ديوان مطبوع.

21 – عبد الله بن صالح العثيمين: 1937–
– ولد في عنيزة بالمملكة العربية السعودية.
– حائز على الدكتوراه بالتاريخ من جامعة أدنبره في سكوتلاندا.
– عضو مجلس الشورى السعودي.
– الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، الرياض، السعودية.
– له عدد من الكتب والدراسات والبحوث.

22 – عبد الله يوركي حلاق: 1911– 1996
– ولد في حلب.
– أصدر مجلة الضاد 1931 وتولى إدارة تحرير مجلة الكلمة.
– صدر له عدد من الدواوين الشعرية والدراسات.

23 – عدنان مردم بك: 1917–1988
– ابن العلامة والشاعر خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق.
– ولد في دمشق، وتلقّى دراسته الابتدائيّة والعالية منها.

– نال شهادة البكالريوس في الآداب والفلسفة والحقوق.

– عمل في حقل القضاء مستشاراً في محكمة التمييز.

– له عدد من الدواوين الشعرية ومجموعة كبيرة من المسرحيات الشعرية.

24 – لسان الدين ابن الخطيب: 1313 – 1374

– أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب.

– ولد في لوشة بالأندلس، ودرس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس.

– ترك عدداً كبيراً من المؤلفات في عدد من الفروع المعرفية.

– قتل بطريقة مأسوية بدسيسة من أحد تلاميذه.

25 – المتنبي: 915 – 965

– هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي.

– ولد بالكوفة وتنقل في البادية السورية.

– ثم تنقل بين حلب ومصر وشيراز.

– قتل في طريق عودته إلى العراق.

– له ديوان شعري يعد من أشهر وأهم ما ترك الشعر العربي.

26 – مظفر عبد المجيد النواب: 1934–

– ولد في بغداد.

– عاش قسماً من حياته سجيناً ومطارداً.

– تنقل بين العواصم العربية والأوروبية، واستقر به المقام أخيراً في دمشق.

– كرس حياته لتجربته الشعرية وتعميقها، والتصدي للأحداث السياسية التي تلامس وجدانه الذاتي وضميره الوطني.

27 – المقّري التلمساني: 1584 – 1631

– هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى.

– مؤرخ وأديب، له عدد من التصانيف الشهيرة والمهمة فيما يتعلق بتاريخ الأندلس.

– له شعر حسن وأخبلو ومطارحات مع أدباء عصره.

28 - محمد البزم: 1884- 1955

- ولد في دمشق، وفيها تعلم أصول النحو والبلاغة وعلم الكلام والمنطق.
- عمل مدرساً للغة العربية.
- انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.
- تولى رئاسة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.
- صدر ديوانه بعد وفاته في مجلدين اثنين.

29 - محمد مهدي الجواهري: 1899 -1997

- ولد في النجف وتلقى تعليماً دينياً فيها.
- نظم الشعر في سن مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب.
- صدر له ديوان "بين الشعور والعاطفة " عام (1928). وكانت مجموعته الشعرية الأولى قد أعدت منذ عام (1924) لتُنشر تحت عنوان "خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح".
- تنقل بين سوريا، مصر، المغرب، والأردن، ولكنه استقر في دمشق ونزل في ضيافة الرئيس الراحل حافظ الأسد. كرمه الرئيس الراحل «حافظ الأسد» بمنحه أعلى وسام في البلاد، وقصيدته «دمشق جبهة المجد» تعتبر ذروة من ذرا شعره ومن أفضل قصائده
- توفي الجواهري في إحدى مشافي دمشق.
- جمع شعره في ديوان ضخم.

30 - محمود درويش: 1941- 2008

- قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني التي تم إعلانها في الجزائر.
- ولد في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا.
- اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدأ من العام 1961 بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي.
- عام 1972 حيث توجه إلى للاتحاد السوفييتي للدراسة، كما أسس مجلة الكرمل الثقافية.
- شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وحرر مجلة الكرمل.
- نال عدداً كبيراً من الجوائز والأوسمة العربية والعالمية.
- أصدر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية.
- توفي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد إجراءه لعملية القلب المفتوح في المركز الطبي في هيوستن، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

31 - نزار قباني: 1923 - 1998

- ولد في مدينة دمشق، وفيها درس حتى تخرّج في كلية الحقوق بجامعة دمشق.
- عمل في السلك الدبلوماسي السوري، فتنقل بين عدّة بلدان شرقية وغربية، ثم استقرّ في بيروت، فترة طويلة، حتى انتقل إلى لندن، وفيها توفي.
- صدرت مجموعته الشعرية الأولى "قالت لي السمراء" سنة 1944. وتوالت مجموعاته الشعرية حتى وصلت إلى ثلاثين مجموعة.
- صدرت أعماله الكاملة سنة 1977 في مجلدين ضخمين، وتوالت في الصدور حتى وصلت إلى تسعة مجلدات.

المحتوى

هذا الكتاب.....2
دمشق والثقافة العربية.....3
المختارات.....11
مسرد الشعراء.....125
المحتوى.....135